بديع أبو شقرا

# ...واعتزلتِ الحياةَ في الرابعة.

الفارابي

... واعتزلتِ الحياةَ في الرابعة

بديع أبو شقرا

BADIH ABOU-SHAKRA

# ... واعتزلتِ الحياةَ في الرابعة

# ... AND SHE QUITS LIFE AT FOUR

دار الفارابي

AL-FARABI

الكتاب: .... واعتزلت الحياة في الرابعة

المؤلف: بديع أبو شقرا

الغلاف: عُلا ندّاف Oula Naddaf

الناشر: دار الفارابي – بيروت – لبنان

ت: 301461/01 – فاكس 307775/03

ص.ب: 3181/11

الرمز البريدي: 11072130

Email: farabi@inco.com.lb

Title: …And she Quits Life at Four

Author: Badih Abou-Shakra

Email: dodoamigo@hotmail.com

Cover: Oula Naddaf

Publishe: Al-Farabi-Beyrouth – Liban

Tel: (01) 301461 – Fax: (01) 307775

P.O.Box: 11/311 – Code Postale: 1107 2130

Email : farabi@inco.com.lb

الطبعة الأولى 2004

ISBN: 9953-71-038-4

جميع الحقوق محفوظة

تباع النسخة الكترونياً على موقع:

http: www.arabicebook.com

# المحتويات


| | |
|---|---|
| إهداء | 9 |
| البداية | 11 |
| المشهد الأول | 17 |
| المشهد الثاني | 29 |
| المشهد الثالث | 111 |
| المشهد الرابع | 147 |
| المشهد الخامس | 169 |
| المشهد السادس | 187 |
| النهاية | 217 |

# إهداء

غاب عنّا باكراً...

وسيعود إلينا مع طفلي الصغير.

الىJIMMY ...

# البداية

كيف تنطلق لحظة الكتابة؟ كيف يسرح القلم ويتخاطر بسرعة فائقة؟... القلم مخلوق غريب، بأسرع وقت ممكن وبشكل محدد وواضح يجسد ما بداخله، يكتب، يتخبّط، أنا أحسده، وأتمنى ولو للحظات أن أكون مثله.

عندما تنظر الى الأقلام في أي مكان للبيع تراها بعدة ألوان وعدة أشكال،

تُحبس داخل علبة أو أي شيء آخر، تدفع ثمنها بشكل عادي جداً، كتجارة الرقيق في الولايات المتحدة أيام الحرب الأهلية، تشتري واحداً، وتكتب كلاماً سخيفاً، فتعود من جديد الى هذا المكان وتبتاع قلماً آخر. ثم الى المنزل تفتح الباب، تدخل الى غرفتك تجمع أمامك عدة أوراق بيضاء، تشعل سيجارة، تتأمل قليلاً كل الأشياء التي اعتدت رؤيتها كل يوم في هذه الغرفة، ترى تفاصيل جديدة لم ترها من قبل، تفكّر قليلاً كالمثقفين: كالفنانين، تهدر طاقة، وبعد لحظة، تستفيق فجأة على

صوت إعلان لأحد مساحيق الغسيل على الراديو، تعود، تحاول أن تفكر من جديد، تهدر طاقة أخرى، تستلّ سيفك – قلمك – وتبدأ، أو بالأحرى تحاول أن تبدأ... ولكن، ومن جديد، دون جدوى، ترمي القلم الفاسد وتخرج الى الشارع وتبتاع قلماً آخر وتعود، من الممكن أن تعاود الكرة خمسين أو ستين مرة، حتى تصبح لديك في سلة المهملات تحت مكتبك Collection من الأقلام المرميّة، تنظر إليها وتتذكّر ما قلته لك عن تجارة الرقيق، وعندمها تفهم لماذا أحسد القلم، وهذا

العالم من الأقلام الحرّة الواضحة الفرحة بانتصارها لأنها أتْعبتك وأنهكت كل قواك الداخلية والخارجية والأهم من ذلك، رفضت أن تكتبك في هذا الجو، لماذا.. أعتقد أنه من الأفضل لك في هذه الحالة أن تنهض عن مكتبك وتقوم ببعض الحركات الرياضية كي تحافظ على شكل جسمك قبل مشاوير البحر في هذا الصيف ثم تأخذ حماماً بارداً كي تشد بشرتك لتبقى ناعمة وتخرج وأنت تعبقُ برائحة الـ Perfume الثمينة، تخرج وتتجه إلى أحد البنوك المجاورة لتسويّ بعض الأمور

المـاديـة الـضروريـة كـي تـقدر أن تـعيش فـقط.. ومـا زلـت تـقول لـي أنـك لا تـريـد أن تكون قلماً؟ رقيقاً ملوناً؟..

ماذا لو كان المرء ماشياً بهدوء وسكينة، مع نفسه ومع غيره في أحد شوارع بيروت المكتظة أو في أحد شوارع نيويورك مثلاً، وأمام ناظريه يمتثل عدد لا يقلُّ عن ألف شخص يتوجهون نحو أعمالهم بهدوء وسكينة كما هو مفترض أن يكون.

عادة يكون للمرء أصدقاء أو أشخاص ينسجم بالعلاقة معهم ويشكلون نوعاً من الاتصال الذ يطلق عليه تسمية (روحيّ) وهذه العلاقة تدوم لفترة طويلة بل لا تنتهي إلاّ مع الموت، هذا الكلام يكون صحيحاً إذا اتبعنا قواعد الإنسانية فقط، ولكن ماذا عن المؤثرات الحياتية الملموسة "الماديّة" التي "تربط" هذه العلاقات كما يقولون!؟

وهذه العلاقات المسماة "روحية" قليلة في حياة الانسان ويمكن أن يعدّها على أصابع اليد الواحدة ولكن لماذا؟، أليس

هناك ما يكفي من الناس في العالم؟، ألا يمكن أن تُعدّ تلك العلاقات على أصابع اليد واليد الأخرى وأيدي العائلة والأقرباء والجيران وبائع الخضار وسائق التاكسي؟

إذا نظر الشخص إلى هذه الآلاف المحتشدة أمامه في الشارع وقال: لو حصل أن تعرفت بعمق على كل هذه الآلاف وحصل بيننا نوع من التبادل والتفاعل، كم واحد منهم يمكن أن يكون مقرباً منّي وتنشأ بيننا هذه العلاقة المسمّاة

"روحــية" ، ومــاذا يــمكن أن يــنشأ بــعد اكـتمال أو إثـبات هـذه الـعلاقـة؟ بـرأي هـذا الـشخص، إنّ تـفاعُـل مـا بـعد هـذه الـعلاقـة مــهم جـداً لأنــه عـنصر مـن أهــم عـناصـر الـتطور فـي المـجتمعات، الـتطور الإنـسانـي وثـم الـعملي، هـذا بـالإضـافـة إلـى المـتعة المتأتيّة من هذه العلاقات.

إذاً لمــاذا لا أتــعرف عـميقاً عـلى كـل هــذه الآلاف ومئات الآلاف والملايين المنتشرة على هذه الكرة الأرضية الصغيرة المهددة يومياً بأن تتقاذفها الشموس؟!

عندما جلس على حافة الرصيف متناسياً ما كان يدور في ذهنه من أفكارٍ سخيفة وبالية حول تلك العلاقات والذين قالوا له أنك تكون مريضاً نفسياً إذا لم يكن لديك عائلة وأقارب وأصدقاء دراسة مثلاً؟؟

هل أنا شخص مغلوط؟ سؤال حاول رميه خلسة تحت دواليب السيارات، "الحافلات المجنونة"، لا بل حاول نحره قبل صعوده الى مستوى الذهن، هو بحاجة إلى أشخاص يلتقي بهم كل يوم يتكلمون، يمرحون، يتطورون كجُزء من المرح،

يتفاعلون نحو عيش رغيد. ولا يزعجه أن يشكل هذا نوعاً من تكتُّلٍ، أو تجمُّعٍ تتراقص في داخله هذه العلاقات المسمّة "روحيّة" التي تكلّمنا عنها.

استبشر خيراً، وشعر بتنفيذ مشروعه المثالي الخيالي، السخيف بنظرهم.

والجدل كان حول ماهية التطور، وأي تفاعل يؤدي إلى تطورٍ أفضل، ومتعةٍ في نفس الوقت. فالمتعة هي الشيء الوحيد الذي يغذّي الحياة، ويجعلها تكبر وتكون بصحّة جيدة. فالمتعة للحياة هي كالحليب

الـغنيّ بـالـكالـسيوم لـلطفل الـصغير. هـذه التكتلات لا تـعني أيَّ تـعصُّب أبداً، بل هـي تبارك كل التكتلات الأخرى، فيكون الـعالـم مجـموعـة تـكتلات مـتفاعـلة كـخلايـا الـنحـل، منتشـرة فـي أراض مـن دون حـدود ولا حـواجـز. ولكن إذا نـظرنـا إلـى هـذا الـعالـم، الـكرة الأرضـية الـمسكينة، نجـد تـكتلات مـن أنـواع أخـرى، لا تـربـط دواخـلها هـذه الـعلاقـات الـمسماة "روحـية" بـل تـربـطها علاقات ذات اعتبارات أخرى، لا تؤمّن الحد الأدنى من أية متعة تذكر، وذلك

كممارسة الجنس مع شخص تمقت كل ذرة فيه فكرياً وجسدياً.

بعد أن وجد نفسه جالساً لمدة طويلة على حافة هذا الرصيف، قرر الوقوف فجأة، وظهر أمامه إعلان كبير يحتل مسافة واسعة من هذا الشارع، إعلان لأحد المصارف وفي وسطه بطاقة اعتماد، شعر أن هذه البطاقة التي يحمل مثلها في محفظته أصبحت أكثر قيمةً من هويته.

ورقمها واسم المصرف المنبعثة منه والـ credit history التي بداخلها أهم من

اسمه واسم عائلته وانتمائه وشخصه الكريم.

أين هي تلك التكتلات التي يبحث عنها؟

لم يجدها، لم يشعر بها، ولكنه بعد أن نظر الى الأبنية المجاورة والسيارات "الحافلات المجنونة" والمحال التجارية والمطاعم والمصارف، شعر أن هناك تكتلاً موجوداً فعلاً. فرح للوهلة الأولى، لكنه شعر بخيبة أمل إذ أن بطاقة الاعتماد credit card هي الـ ID أو الهوية المطلوبة لدخول

هذا التكتل، فليكن... على الأقل هناك تكتُّل ما... لكنه لا يحتوي على أيّ من تلك العلاقات المسماة "روحية" المنتشرة في الهواء ولا تجد لها مكاناً تستقر فيه.

إذاً هذا هو التكتل الوحيد الموجود، تكتل الإستهلاك من أجل الاستهلاك فقط ومتعته المزيفة وتطوره السريع المخيف الذي يشكل الخطر الأكبر على هذه الكرة الأرضية المسكينة. هذا هو التكتل الوحيد والأقوى الذي لا يمكن مواجهته.

وقف ومشى بين هذه الآلاف المنتشرة

في هذا الشارع، حمل فكرته رايةً بل وساماً أمتعه وحده فقط، وعاد إلى عمله في المصرف بعد فرصة الغداء، المصرف صاحب الإعلان الكبير الذي يأخذ مساحة كبيرة في هذا الشارع، وكان يشعر دائماً أنه سيقضي حياته راكضاً وراء بطاقة الاعتماد credit card.

الانطلاق من جديد، العودة الى نقطة الصفر، البداية الثانية الأولى،... كلها جمل صغيرة مرت بسرعة أمام عينيه التي ترى ما وراء الأفق البعيد، ويغصُّ جفنها بدمعة متثاقلة أبت أن تضعف وتخرج معلنةً عن حزنٍ ولو ضئيل على أيام عابرة وعلى كل إحساس وفرح قلبه وقتها من قبل.

في الخامسة والعشرين، ولأول مرةٍ يقف ويشعر بما تراه عيناه خلف حدود المسافات، يدغدغه الهواء الرطب، يحمل الأمواج من القعر يرفعها نحو الصخور تنحر نفسها على مذبح الشاطئ وتهديه رذاذها الحالم. بعد ساعتين على هذه الحال، استدرك بخجل، أنه لم يعد يرى من خلال عدسات نظارتيه، رفعها عن وجهه ببطء، وألقى بعض النظرات إلى جانبيه متمنياً ألا يراه أحدٌ يوقظه ويعود به الى رؤية المسافات القصيرة الواقعية. وبسرعة سحب منديله الأبيض من جيبه

الأمامي، وهمَّ بمسح عدساته لمدة طويلة. وضعها على وجهه وحاول التأمل مجدداً، لكنه انتفض فجأة وكأن الأبنية القريبة والأشجار والأمواج والغيوم المسرعة بدأت تحدق فيه بشدة، وفي تلك اللحظة، سيطر عليه خجل حقيقي، حين أدرك أن منديله الأبيض مبلّل أكثر من عدساته. وبدهشة كبرى اكتشف أن ثيابه مبتلة بأكملها حتى جسده. وحينها أدرك أن أصوات صلوات الأمواج على ذلك المذبح تغلبت عليه ولطّخته بدماء ذبيحتها ورمت عليه لغتها الآتية من قعر البحر الغامض، هزت رقاده

حتى أصبح في هذا الصباح الغريب لا يرى إلا مفاتيح سيارته التي ستُقلُّه إلى منزله وتعيده إلى نهار جديد بعد ليلة أنهكت أحاسيسه، وأربكت ثقته، وجردت تجاربه حتى أردته قتيلاً واعياً على فراشه الذي حملَهُ ليلة واحدة برفقتها.

في الخامسة عشرة ولأول مرة، قبيل سهرة ليلة السبت، مرت في ذهنه فكرة جديدة، جسدت فيه، وأمام حدقات عيون الناس، كل الجرأة التي كان يكنُّها لهم، وكأنها تحدٍ، حالة رفض عارمة، كلمة "لا"

لكل أمرٍ يلبس عباءة الطلب الرقيق الناعم، لكل مجتمع تجرَّد من أحاسيسه وكذِبَ على نفسه، وزعم النبل والتربية الحقّة، لكل مجتمع تمسك بتاريخٍ قديم جعله صنماً، عبدَه وقدسه ومشى على خطاه بقدمٍ حافية، لكل مجتمع رفع راية الأخلاق الحميدة عارية، تمارس الجنس تحت الخباء الرصين المزركش.

قال "لا" وكان يجهل ذلك كل الجهل، في تلك الليلة بالذات قرر خفية، أن يخلع ثياب العيد الجديدة ويلبس بنطالونه الممزق

عن فخذيه من الأسفل وفوقه قميص مفتوح يكاد يغطي تحته T-shirt بيضاء ملطّخة يحرسها سلسلة ثخينة من الفضة وفي أسفله يستلقي قرن صغير من عاج تكاد تخاله مفتاح جنّتِهِ الذي طالما أراده وتمنى أن يلمسه بيديه. أما شعره، فبلله بكمية كبيرة من الماء حتى هربت منه خصلة يتيمة استقرت على جبينه، جمدها الهواء فاستسلمت لأمرها. وأخيراً، أمام مرآة غرفته التي تمنت من كثرة خجلها أمام منظره هذا، لو كانت قطعة زجاج بال لا تصلح لشيء، قيّد معصم يده اليمنى بقطعة

جلد تحبسها حروف حادة من حديد يلمع بشدة، متأهباً مستعداً لتنفيذ أي أمرٍ يصدر عن هذا الجنرال الصغير.

بعد كل هذه التحضيرات المكثفة لإشعال فتنة الحرب ضد أعدائه، وفق أمام باب غرفته ووضع يده في جيبه، أخذ يتذكر الناس حتى يسألونه ضائقين ذرعاً به وبتصرُّفاته: ماذا تريد؟ وكان يجيبهم بسخرية بريئة: أتمنى لو يُلبسكم الله نظارات سوداء غير شفافة ويربط ألسنتكم بشرائط هدايا أعياد الميلاد، فهل تتصورون

كم سيكون منظر أهل قريتنا طريفاً.. وكم سأرتاح أنا في جنّتي هذه.

هذه الجمل كانت كلمة السر التي يطلقها قبل الدخول إلى عالمه وحقيقته فيحني ظهره وبخلسة يسترق الأنظار في الغرف المجاورة، وبعد التأكد من الهدوء التام، ينطلق راكضاً، ويخرج من المنزل ويغيب في ظلام أزقة القرية ودهاليز عالمه الخاص، يمارس فيها كل يوم، إرهابه وجنونه وحقيقة نفسه خاشعاً أمامها وكأنها لحظات الجدّ القليلة التي يملكها. كان

يتساءل، وهو يسير باتجاه مكان احتفال ليلة السبت، عن نفسه، عن أعماله وعن هذا الإحساس الغريب الذي يخالجه في كل لحظة ويُحفّزه بشدة، وكأنه طموح مزمن يرافقه أينما ذهب، طموح في كل حركة، في كل فكرة، في كل شعور ينتابه، كانت هذه الأفكار أكبر بكثير من الدماغ الذي يخفيه تحت جمجمته والذي يكاد ينفجر كل يوم جرّاء تقلباتٍ مفاجئة لا قدرة له على فهمها، لكنه رغم كل شيء كان فرحاً، لا يمكن لأي أرض أن تستوعبه،

حتى أن العجائز قالوا عنه:" طاير وطايرة الدّني معو".

عند وصوله إلى أقرب نقطة مراقبة مطلة على حفلة ليلة السبت كان يقف بإصرار، يراقب كل من يدخل، وينتظر حتى يحدد موعد دخوله في ذيل قافلة المدعويين.

وبطبعة الحال وكشاب صغير، كان من المفترض أن يقف ويراقب كل الفتيات اللواتي يدخلن إلى الحفلة، واحدة تلو الأخرى، ماذا يلبسن وكيف يتبرّجن، ومن هي تلك التي ستكون طريدته المرتقبة في

حفلة الصيد تلك. ولكن، على غير عادة أصحاب عمره، بدأ هذا الجنرال الصغير بمراقبة كل الشبان دون استثناء، يراقبهم بتدقيق مميز وغريب، كيف يتصرفون، كيف يتكلمون، كيف يلبسون ويصفّفون شعرهم، ما هي ميزات كل واحد منهم، ولكن أخطر شيء في ذلك، وطبعاً هو لم يكن يعيه ولا يُحسُّه أبداً، ولم يكن من إمكّانية لأن نكتشفه فيه وخاصة في عمره هذا وطريقة حياته... أخطر شيء، هو أنه كان يبحث في كل شاب صغير عن ميزات ليست موجودة عنده، في شخصيته، وليس

مـهمّاً لديـه إن كـان يـحبها أم لا، المـهم أنـها ليست مـوجـودة ويـمكن لـها أن تـشكل تـميّزاً معيناً في أعين الآخرين.

هـذا الأمـر كـان، ومـن نـظرتـنا الأولـى إلـيه، بسيطاً وطبيعياً بعض الشيء بالنسبة إلى صبيّ أو شاب صغير إذا صح التعبير...

ولكنه في أعماقه، كان يخفي أهمية كبيرة وعـقدة يـمكن أن تـشكّل جـدلاً عـلى مـعظم المسـتويـات وهـو، أي هـذا الأمـر، لا يـقلّ أهمية عن أهم وأصعب العقد

الإنسانية، وطبعاً هذا كله لا يمكن أن يكون حتى مجرد خيال يمرّ أمام أعين الجنرال.

من نقطة المراقبة التي كان يمكن له أن يرى من خلالها كل شيء، كل حركة من أي شاب تُظهر تميزاً معيناً أو تشكل مشهداً يمكن أن يتطور ليصنع حالة ترافقها موسيقى وإضاءة تصبح مشهداً، كانت ترفع من حرارته فيتصبب عرقاً حتى يشعر بالبرد، يرتجف مرة، وينتفض مرة أخرى محاولاً الخروج من هذه الصومعة والدخول

إلـى الـحفلة ومـحاولـة الاسـتمتاع بـحياتـه قليلاً، لكنه يرفض دائماً خوفاً من أن يفقد شيئاً من هذا المنظر. لماذا؟ لماذا كان يشعر بهذا دائماً، وكان كل شاب هو منافس له؟ كيف يمكن لكل هذا التمييز أن يكون عنده؟ وما هو التميز لديه؟ والى أين يوصله هذا؟ حرارته ما زالت ترتفع وعرقه يتصبّب وغيرته تـزداد، ولأول مـرة، ظـهـرت لـه كـلمة "غـيرة". كـان يـتساءل دائـماً ويـقول: أنـا لا أسـتمتع بـحياتـي، بلحظاتـي ولا حتى بتميُّزي والذي لـم يـكن يـعترف بـه يـومـاً، وهـل كـل هـؤلاء الشباب يستمتعون

دون التفكير بشيء، هذا غريب، أكبر من عقله، من دماغه الصغير، إنه عذاب يتمسك به ويجعله يتمنى لو يكون وحده حتى لا يراقب ويتصبب عرقاً ويبرد. بعد جهد كبير وبحث طال ربما أكثر من ساعة، قرر أن يدخل إلى الحفلة، أنه قوي وثوروي، ومن جهة أخرى، ضعيف وغير واثق، لم ولن يقدر أن يتصرف بطبيعية ويُفجّر ما لديه بصورة حقيقية، كيف يمكن للأنظار أن تنصبُّ عليه ولا تفارقه كل مدة وجوده بين هؤلاء. كان هذا هاجسه المستمر وعذابه الذي لا يفارقه.

دخل الحفلة من بابها الواسع ومشى مع كل مقوماته بين الجموع، لم يحظ بالاهتمام الذي كان يتوقعه! ولكن لماذا سيحظى به؟ من هو في الأصل؟ رغم غرابته وتميزه لم يكن بحجم اهتمام كبير إلى الدرجة التي كان يتوقعها. كان يشعر وكأنه يمشي على حافة حديديّة بعرض خمسة سنتيمترات فوق هاوية مظلمة وأمام أعين كل الناس، لم يكن من السهل عليه أن يتوازن، لم يكن من السهل عليه أيضاً أن يرى دقة ما يدور من حوله أشخاصاً وزينة ومأكولات ومشروبات، لم يقدر أن

يعرض رفضه وقوته وقدرته على المواجهة والتميز، وهبَ كل ما لديه للمراقبة. فرأسه كان يعمل بسرعة قياسية لا تقدر عيونه حتى على التعبير عمّا يجول فيه، كانت فترات عصيبة، وما يقال: "ما تمرق على عدوّينك". ولكن لماذا كل هذا؟ لم يكن كذلك في المنزل وأمام المرآة. في تلك السهرة كان يريد أن يكون محط كل نظرة، كان يريد أن يسمع الجميع يتكلم عنه وهو طبعاً لا يبالي. إن كل ذلك كان أكبر من قدراته، أنه رداء فضفاض

جداً، يمكن أن يستوعب خمسة أو عشرة أشخاص معه. ولكنه كان يريد أن يكون هؤلاء العشرة معاً. إنها مهمة صعبة جداً، وعمل مرهق يمكن أن يتبعه ويهدّده وحتى أن يحطمه.

ولكن ماذا عن تلك الفتاة التي قضى معها ليلة واحدة قبل ذهابه الى الكورنيش؟

كان يوماً عادياً قبل تلك اللحظة، كانت حياة ثابتة وأياماً منظمة تمرّ، كان قد رتّبها كالبضاعة على رفوف Super Market أجنبية فخمة. أخرج كل هذه الأفكار من رأسه أو

بـالأحـرى دفـنها فـي زاويـة مـظلمة مـن دماغه، خبأها قدر الإمكان، زرعها عميقاً دون أن يـطعمها لـتكبر، عـاش عـاديـاً وهادئاً... روتينياً.

خـرج مـن عـمله فـي أحـد المـصارف فـي العاصمة وكعادته ذهب الى Jym ، بثياب رياضية فخمة، أمضى ساعته المعهودة في تـرتـيب جسـده وصـقله، تـوجـه بـعد حـمام Jakoozy لمـشاهـدة إحـدى المسـرحـيات التي دُعي إليها بطريقة الصدفة.

وحيداً ينتظر بدء العرض، بحث عن

إنسان واحدٍ يعرفه ليتكلم قليلاً، ربع ساعة الانتظار هذه طالت سنين حتى شعر أنه سينسى كيف يحرك لسانه وشفاهه ليتكلم. فلماذا أتى إلى هذا المكان الذي لم يعد يمت إليه بأية صلة.

على غير عادته اقترب من مجموعة، وحاول الكلام، لكنه لم يجد فَمه، هذا الجنرال المتقاعد، هذا الثائر الصغير أصبح كبيراً وعاديًّا جداً الى درجة أنه لم يعد يعرف كيف يهجم أو كما يقولون "يطحش" على الناس.

نظرة أولى أخجلته، واحدة من صاحبات الثياب الغريبة والشعر غير المترتب، تلبس الفضة في كل مكان من جسدها.

نظرتها أخجلته بكل ما للكلمة من معنى. الجميع وقف في دائرة وهو يحاول أن يتدخل في حديث من بين كل هذه الأحاديث التي مرت على مسمعه، شعر بنفسه متخلفاً نسبياً، وكأن المكان ليس له والمنطقة كلها ليست له وكأنه آتٍ من عالم آخر... يبحثُ عن موطئ قدم، دون

جدوى، كان يقف لابساً حذاءه الجديد اللماع الثمين، ورغم جودته، شعر أنه لا يؤمن له الثبات على الأرض، يحث عن هذا الثبات في كل بقعة من المنطقة أمام المسرح ولم يجده، ونظرات تلك الفتاة ما زالت تربكه فهي وقحة بعض الشيء، كان يقول بينه وبين ذاته إنها "وقحة" ولكنه لم يشعر بذلك مطلقاً بل كانت تنتابه واحدة من تلك الاحاسيس التي دفنها ونسي أنها موجودة لديه، واحدة من تلك الأحاسيس التي لطالما أرادها ولم يجدها في عالمه، عالم المصارف وبطاقات الإعتماد والثياب

الـثمينة المـرتـبة والــ Jym والـ Jakoozi وحـتى الـفتاة الـتي مـن المـفترض أن يـكون عـلى عـلاقـة مـعها، ويخـطط لـلزواج بـها، وضمن تلك الخطة تقسيط شقة للسكن فيها كعائلة محترمة في شارع محترم في بناية محترمة.

ظلّ يتهرب من تلك النظرات إلى أن التقت عيناه بعينيها. تجمد كلياً وكأن الواقعة قد حصلت فعلاً. في تلك اللحظة لم يعد شيء ينفعه، أمر واقع ألمّ به وبمفاصله، سحب يديه من جيبيه، عاد ووضعها من جديد ثم سحبها مجدداً

فاحتار ماذا يفعل بها ، أصبحت عبئاً عليه وكأنّها دخيلةٌ على جسده وعلى كيانه الصغير غير المحدد والمهدد. اقتربت ودبت الحرارة في جسده، اقتربت، ولم يعد يعرف لنفسه اسماً، اقتربت وواجهته، انتظر منها أن تقول شيئاً، وبدأ يتوقع ماذا يمكن أن تقول وبماذا يجب عليه أن يجيب، إن كانت تقصد تحيته فالوضع سهل وستُحلُّ المشكلة، سيرد عليها التحية. انتظر تحيتها وكل ذرة منه وحتى من ثيابه ونظارتيه تفكر وتحلل وتخطط.

لم تلقِ عليه التحية. قالت: "أترغب في المشي على الكورنيش" تلك كانت أكثر من صاعقة، بل إعصارٌ ضربه حتى أنه اخترق ثيابه الداخلية، قالت هذا الكلام بلهجة غير لبنانية، توقع أن تكون لجهة أردينة ولم يتأكد من ذلك.

قال "نعم" ومشى. مشى وحده وهي ما زالت أمام طيفه المرتبك كالصور المتحركة. نظر إليها وكأنه يستنجد، يطلب أن تشفق عليه وتتحرك كي تخلصه من هذه الورطة، مع أنه كان يعرف هذه الورطة

لـم تـكن شـيئاً أمـام الـذي سـيأتـي لاحـقاً، حــتى أن الــشمس خــانــته وبــدأت تــغيب. اقتربت منه من دون كلام، اتجها سوياً إلى خــارج صــالــة المســرح وتــوجــها نــحو الــكورنــيش. لـم يـنطق بـأيـة كـلمة كـل تـلك المسافة حتى وصلا.

ما الذي شعر به يسقط على وجهه، تساءل ثم تساءل من جديد وحاول الإجابة... يبدو أنـها نـقطة مـاء فـإذاً لمـاذا كـل هـذ الـتعجب والدهشة وكأنها المرة الأولى التي يقف فيها تـحت المـطر ولـكن... لحـظة، فـهو لـم يـقف تحت المطر

منذ مدة طويلة، وقف تحت النطر ولكن تحت مظلته الغالية الثمن التي لا تسمح لأي ذرة ماء من الهروب نحو شعره المصنف أو بذلته الفاخرة.

منظر البحر ظهر له وللمرة الأولى مغايراً تماماً، وكان لونه الأزرق يتحول إلى ألوانٍ كثيرة لا تُعد ولا تحصى، ونسي للحظة أنّ هناك أحداً برفقته، ولكنه استدرك خجلاً، توجه بالنظر إلى تلك الفتاة الغريبة وحاول أن ينطق ببعض الحروف، تفاجأ، إذ أن تلك الفتاة الغريبة لم تكن تعتبره موجوداً، كانت تنظر الى مكانٍ بعيد في

العمق، في عمق الأمواج. لماذا أتت بي الى هنا؟ لماذا رافقتني؟ كان من الممكن أن تكون وحدها. ولن يتغير شيء. طرد هذا الشعور من مخيلته، شعورٌ بأنها تستغلّه في شيء ما.

مضت ساعة تقريباً وهما في الوضعية نفسها، الوضعيّة المحيّرة جداً بالنسبة إليه، وبعد تلك الساعة ببضع دقائق، سبع دقائق بالتحديد لأنه كان ينظر إلى ساعته باستمرار دون أن يجعلها تدرك ذلك، في الدقيقة السابعة تماماً، نظرت إليه وقالت: هل

تأخرت؟ هذا السؤال كان مفاجئاً، كان صفقة قاسية على خدّه الأيمن المواجه لها، نظرت إليه مرّة أخرى وقالت: راحت عليك المسرحية؟ عندها وبأعجوبة وجد جواباً مناسباً تماماً كي ينقذ نفسه وقال:

"مش مشكلة، بحضرا بكرا". ضحكت ضحكة ساخرة وبعد عدة دقائق وهذه المرّة دون أن تنظر إليه قالت له: "لا عرض غداً، فهذه المسرحية طلابية وتعرض ليوم واحد". موقف لا يُحسد عليه أبداً، موقف جعل رأسه يدور بسرعة قياسية حول عنقه، وأصبح العرق المتصبب على وجنتيه وعلى

أسفل ظهره يتحدّى حجم الأمطار المتساقطة، وطبعاً لم يجب لأن السكوت في تلك اللحظة من ذهب، بل من ألماس ولو كان هناك حجر كريم أثمن من ذلك لكان السكوت أثمن منه أيضاً. شعر وكأنه في مكانٍ ليس له مطلقاً، شعر وكأن تلك الفتاة تسيطر عليه كلياً وعلى كل المارّة في تلك اللحظة، حتى أن الشمس بدأت بالهروب وكأنها تخجل وتهزأ من موقفه المحرج هذا. هل يرحل؟ هل يبقى كما هو؟ هل يقول شيئاً؟ هل...؟، موظف أحد البنوك الكبيرة في البلد أصبح معلقاً من أذنيه في مكانٍ لا أول له ولا آخر. عندما اختفت الشمس تقريباً وأصبح اللون الأحمر يكسو عنق

الفتاة حتى أول قدميها، لمعت حبات الماء التي وجدت لها طريقاً رائعاً بين الثديين، لم يقوَ صديقنا على حجب نظره بل استرق نظرة واحدة وسريعة جداً إلى تلك المنطقة اللامعة، عيناها كانتا به بالمرصاد، "كمشته" كما يقولون بالجرم المشهود؟ وهنا بدأ ينتظر منها ردة فعل يمكن أن ترديه قتيلاً بلحظة، وطبعاً مارست عليه تلك الفتاة ضحكتها المميزة ودون أن تنظر إليه سألته مجدداً: هل لديك

بكل Kleenex، وهو طبعاً الشاب المجهز بكل ضرورات الحياة في سيارته ومنزله وجيبه! قال "طبعاً" بكب حماسة وبكل رجولية وناولها الـ Kleenex التي ساعدته قليلاً في الإحساس بأن له عملاً في هذه الوقفة الغريبة على الكورنيش؟ تناولت المنديل ونظرت إليه حتى لا تهرب عيناه من امامها مباشرة الى هذا النهر النابض التقطت حبات الماء من بين ثدييها حتى أصبح لا يلمعُ أبداً وأعادت الـ Kleenex بكل هدوء وهي تنظر إليه بكل جديّة، هنا وفي تلك اللحظة بالذات شعر أنه بحاجة

للاتصال فوراً برقم 112 (رقم الطوارئ) لأنه في أمسّ الحاجة الى مساعدة، الى أحد، إلى أي شيء، إلى... إلى أن يستعيد قليلاً من وجوده، من كيانه كإنسان، ككائن حي ينبض قلبه ويجري الدم في عروقه، لا بد له من تصرف ما ينقذه، وعلى الفور، الـ Kleenex ما زالت معلقة بينهما، صدر الفتاة لم يعد يلمع، وجهه أصبح لامعاً جداً كحذاء جديد في واجهة أحد المحال الفخمة. وبحركة غير مدروسة ومحاولة لإنقاذ الموقف، مدّ يده وأخذ منها الـ Kleenex مع تعابير على وجهه

تقول أن الأمر طبيعيّ جداً، وهو لم يكترث لشيء، أخذ الـKleenex ووضعها في جيبه وأكمل النظر إلى البحر. عندها ضحكت الفتاة للمرة الأولى بصوتٍ مرتفع وسألته: "لماذا لم ترمِ الـ Kleenex" ؟ فهي أعادتها له لأنه أقرب منها إلى سلّة المهملات، لهذا السبب فقط، فليس هناك من مبرّر لوضع Kleenex مبللة ومستعملة في جيبه مجدداً. هنا وقعت الكارثة وارتفعت الحرارة في جسده إلى أعلى درجة ممكنة على خط الاستواء تماماً. نظر إليها بتعجب وقال دون أن يعي ماذا يقول ونطق بكلمته

الشهيرة: "مش مشكلة" لكنه شعر وعرف أنها تشعر بالشيء نفسه، فهذه الكلمة هي مجرد حشو Fill in the blank، لا معنى ولا قيمة ولا ضرورة لها، لكن لا حول ولا.

غابت الشمس كلّياً وهذه الساعات معها على الكورنيش امتدّت لسنوات وسنوات طوال، وأخيراً بعد هذا التأمل العميق من قلبها والفراغ من قبله، نطقت من جديد وقالت: لنذهب إلى شقتي؟ وبما أنه في موقف ضعيف جداً وبسرعة لا مثيل لها قال "ok".

هـل كـان حـقيقةً يـرغـب فـي الـذهـاب إلـى شـقتـها، أو أنـه مـسيّراً لا مـخيّراً. فـكّر كثيراً في هـذا الأمر طوال الوقت الذي استغرقته المسافة التي قطعاهـا من الكورنيش حتى شقتها، وطبعاً في هذا اليوم العصيب الذي أتـى عليه مـن الـسماء أو مـن عـالـم آخـر لـم يجد جواباً على أي سؤال من أسئلته.

وصــلا... دخــلا المـصعد، وضــعت إصـبعها الـناعـم عـلى الـرقـم سـبعة، واتّـجهـت نـحوه بصدرها وبدأت تنظر إليه تارة وإلى

صـدرهـا تـارة أخـرى، أعـادت الـكرّة سـبع مرات، سبع مرات خلقت لديه عالماً جديداً واسعاً جداً في هذا المصعد الضيق، نسي ولو لمدة قصيرة كلَّ شيء، وألقى بعينيه على صدرها بكل عزم وثبات.

وعندما بدأ يشعر بانه يدخل في الأجواء الغريبة لهذا اليوم الغريب، وصل المصعد إلى الطابق السابع، فتحت الباب بسرعة، خـرجـت وتـركـته وحـيداً حـتى انـطفأ ضـوء المصعد، عندها استيقظ متفاجئاً وحيداً، ولعدة ثوان حاول أن يكتشف أين هو؟ أين الشرق والغرب؟ ما اسمه؟ إلى أين يذهب؟

الأجوبة على هذه الأسئلة ظهرت أمامه عندما فتحت الفتاة باب المصعد المظلم وقالت مع ابتسامة ساخرة "يللا"...

لحق بها مستسلماً تماماً ودخل وراءها إلى ما يسمى شقتها، نظرات ترقب أولى للمكان بدأت عندما دخلت الفتاة إلى الحمام وهو ما زال واقفاً ينظر من حوله إلى هذا المكان الصيفي نسبياً، فهو مؤلف من مدخل صغير إلى جانبه الأيسر مرآة طويلة مكّنته من أن يرى نفسه من رأسه إلى أخمص قدميه، لكنه هرب من هذه

المواجهة لأنه لا يقدر في هذه اللحظات حتى على مخاطبة نفسه. بالعودة إلى الغرفة، هناك سرير مزدوج مرتب جداً وبجانبه أريكة من الجلد الأسود تتسع لثلاثة أشخاص، ومن الواضح انها مريحة جداً، ومن جهة اليسار مطبخ صغير جداً وبجانب الحائط الفاصل بين المطبخ وغرفة الجلوس والنوم معاً، هناك حقيبة كبيرة وإلى جانبها أكياس متعددة الألوان ومن الواضح أنها ليست فارغة أبداً، لم يجد في هذه الغرفة أي منفذ إلى الخارج أو إلى شرفة مثلاً، فمن الممكن أن يكون الباب

إلى الشرفة مغطّى بتلك الستائر الغامقة اللون الممتدة على طول الحائط، وفي كل هذا الصمت الكبير سمع صوت دقات ساعة، بحث عنها بعينيه فقط فوجدها إلى جانب السرير العريض، ساعة "مهضومة" جداً من الساعات القديمة التي يوجد على رأسها جرسان صغيران وهي دائرية وبيضاء من الداخل. لم يخطُ ولا خطوة واحدة، بقي مسمّراً يترقب كل شيء حوله، لكن الغريب في الأمر أن هذه الشقة لا توحي أبداً بأنها مسكونة، إذ لا يوجد أي أثر للحياة اليومية، كل شيء مُرتَّب ونظيف، لا

ثـــياب عـــلى الـPorte Chapeaux، منافض السجائر نظيفة تماماً، لا يوجد طعام على الطاولة في المطبخ، والأكثر غرابة أن البراد مفتوح قليلاً وفارغ تماماً وضوؤه مُطفأ. أمر غريب جداً ولكن على الأقل مكان جديد للبحث فيه والتساؤل عنه، وليس كالكورنيش الذي اعتاد على منظره ولا شيء جديد فيه لاكتشافه.

خرجت الفتاة الغريبة من الحمام وما زال النابض بين ثدييها ظاهراً تماماً ولامعاً لأن الماء تساقط عليه من وجهها

الذي غسلته وربطت شعرها الكثيف فوقه بطريقة غريبة لم ير مثلها من قبل، الربطة كانت من الأعلى، فالشعر أصبح كنافورة ماء فوق رأسها. اقتربت منه، نظرت إليه، أمسكت يده واقتادته إلى السرير كالأرنب الصغير الأبيض الضعيف الواهن الكسير. رمت نفسها عل الفراش بقوة على ظهرها من جهة اليسار وما زالت تمسك بيده، شدّته نحوها فجلس على حافة السرير، لم يقدر أن ينام إلى جانبها بهذه السرعة، فهذه جرأة كبيرة بالنسبة إليه، إلى موظف بنك روتيني يبحث عن فتاة يتزوجها

وسلاحه الأقوى أنه يمتلك شقة في بيروت ووظيفة ثابتة في أحد البنوك.

الوضع المحرج كان لا يزال مسيطراً عليه، ولكن هناك شيء بدأ يتحرك في داخله بالاتجاه الذي يرغبه هو، فهذا منطقيّ، فتاة غريبة في يوم غريب في شقّتها وعلى سريرها في ساعة متأخّرة، كل تلك المعطيات حركت في داخله ما يسمّونه "الغريزة" ولكن الصعوبة في هذه اللحظة كانت، ضبط هذه "الغريزة" القوية والجامحة، فهو ما زال في حيرة، وأي هجوم من النوع الجنسي قد يسبب قطيعة

مـع الـفتاة، وبـذلـك يـفقد مـصداقـيته الـتي حـاول أن يـحافظ عليها عن طريق اللامبالاة غير المخطط لها، بل هـي أمـر واقـع، والأمـر الآخـر هـو أن فـضولـه فـي مـعرفـة مـاذا سيحدث في نـهاية هذه العملية جعله يكبت هذه الغريزة وبقوة، فالسؤال كان: "إلى أين سـنصل، ومـاذا سيحـدث؟ ومـن هـي تـلك الفتاة؟ وماذا تـريد منّـي؟ أنـا العبد الفقير، موظف البنك العادي المرتّب، صاحب الحياة الروتينية المنظمة والخالية من أيّة غرابة. في تـلك اللحـظة بـالـذات فـتح عـينيه بشـدة وانـدهـاش ونـظر إلـى نـفسه فـي المـرآة المواجهة للسرير المنتصبة عند المدخل،

وبالكاد كان يرى نفسه لأن الضوء كان خافتاً جداً. برقت عيناه وأحس لو للحظة أنه بدأ يثبت وجوده، على الأقل أمام نفسه، فهو يفكر ويخطط ويحلّل ويكبت غريزته، إذاً هو موجود، هذه الأفكار جعلته يرسم ابتسامة على وجهه وعينيه، ابتسامة الحضور، ابتسامة القوة، ابتسامة النصر في إعادة السيطرة على نفسه وإثبات كيانه، ولكنه في الوقت نفسه كان يعي تماماً أن عوده ما زال طرياً جداً فكل هذه المعطيات، بالرغم من وجودها، كانت نوعاً من الدعم المعنوي الذي كان يمارسه على نفسه، وهذه الابتسامة ستختفي

وسيعود إلى حالة الضياع مع أول ردة فعل من تلك الفتاة المستلقية إلى جانبه، ولقد لاحظ بعد أن استرق بعض النظرات الخاطفة إليها، أن فخذها عارٍ كلياً وثديها الأيمن يحتاج إلى لمسة صغيرة كي يتحرر من الفستان المفتوح من الوسط حتى يظهر إلى العلن ويعلن بداية المعركة الغريزية التي كان يحاول جاهداً أن يخبئها.

يقولون بأنّ الغريزة الجنسية عند الرجل الشرقي تحديداً، أقوى من أي دافع أو ضابط آخر، ويمكن لهذه الغريزة أن تقضي بلحظة على تاريخ عريق من الأخلاق

والقيم ومبادئ الإخلاص، هذا بالإضافة إلى أن كبتها يُعدّ أبرز نقص في الرجولة.

هذه المفاهيم نرفضها طبعاً، جملة وتفصيلاً، ولكننا لن ننسى أبداً، حتى إذا قمنا بنوع من النقد الذاتي، أن أجدادنا وآباءنا تربّوا عليها، وبالتالي نحن أيضاً، فتوارثناها عبر العصور، فهي موجودة، شئنا أم أبينا، في الـ ADN والـ ARN للتركيبة الجينية في تكويننا، وحتى اكتشاف المعالجات الجينية المناسبة أو الوصول للتخلص منها، بالطريقة البدائية، في ممارسة عكس رغبة الغريزة، والاعتراف

بخطإها ، سيأخذنا ذلك، ان نجحنا ، مئات السنين بل أكثر، فنرى أن معظم الرجال الشرقيين، حتى من أولئك الذين تشربوا الحضارة والتطور، يخبّئون غريزتهم الجنسية تحت بشرتهم، في مسام جلدهم، وخبايا عروقهم، ووعدٌ منهم أن لن تظهر للعلن أبداً إلّا مع أوقات الحرج والشدة.

يدُ زميلنا تحركت تلقائياً باتّجاه صدرها ، وهو في حالة من الغيبوبة، يتحرك كالآلة تماماً، غير مدرك لما يمكن أن يواجه من عواقب وخيمة وخطرة بعد هذه الخطوة الشرقية. ولكن لا شك أنها في مكانها

تماماً، شرقية كانت أم غربية، فلقد دقت الساعة الواحدة والنصف، ودقّت في داخله مطرقة الانطلاق إلى مرحلة جديدة من هذه المغامرة.

أوصل يده حتى ثديها الأيمن، وثديها هذا كان عن طريق الصدفة بحجم كفّه تماماً، وكأن هذا الثدي الثائر وجد له منزلاً يناسبه بالحجم والحرارة، فدخل الثدي في باطن الكف واستقرّ قنوعاً مسالماً، لا يعكّره إلاّ نبض يد زميلنا الموظف، الذي كان يدق بسرعة مذهلة. خيّم الصمت لمدة دقيقة تقريباً، وعند

انـتهائـها اتجهت نـحوه بـعيونـها وهـو الـذي كان جالساً بشكل ليس مـريـحاً أبداً إذ إن قـدمـيه كـانـتا خـارج الـسـريـر وهـو يجـلس بـالاتـجاه المـعاكس، رأسـه نـحو المـرآة ويـده عـلى صـدرهـا مـن الـجهة الأخـرى مـن الـسـريـر، فـكانـت الـوضـيعة وكـأنـها إحـدى الـوضـعيات فـي المـصارعـة الـرومـانـية وأمـام أعدادٍ هـائلة من المشاهـدين. اتجهت نـحوه بعد دقيقة على هذه الحال وسألته: « لماذا؟ ... لمـاذا فـعلت ذلك؟ ... لا جـواب ولا صـوت لمـن تـنادي، وأصـبح الـثدي فـي بـاطـن كـفّه كـالتفاحـة تـمامـاً فـهو لـم يـعد يـشعر بـشيء وبـأية غريزة أبداً، أضحى

مسمّراً دون حراك ودون وجود، نبضه فقط يُثبت أن هناك كائن بجانبها على السرير.

انتظرت الجواب طويلاً لكن دون جدوى، ولكنها لم تطلق أي رد فعل تجاه حركة يده، وهذا بالنسبة إليه كان غريباً بعض الشيء رغم أن هذه الوضيعة الصعبة التي هو فيها والتي بدأت تزعجه، إذ أن يده بدأت تخدر، فهو لم يعد يُحس حتى بأصابعه فلماذا إذاً ما زال مصرّاً على هذه الوضيعة، لماذا ما زال متمسِّكاً بثديها بهذا الشكل الموجع.

الإنقاذ جاء سريعاً، فسؤالها جاء في

الوقت المناسب تماماً، سألته عن نفسه، ماذا يفعل؟ ومن هو؟ سؤال بسيط وجميل ومن السهل جداً الإجابة عليه، إذ أنه تعود على هذه الأسئلة والإجابات من كثرة مقابلات العمل التي كان يقوم بها على الدوام بعد تخرجه من قسم إدارة الأعمال في إحدى الجامعات الخاصة الغالية جداً في هذه العاصمة. فجاء جوابه سريعاً ومحدداً: اسمي نزار وعمري 25 سنة، خريج إدارة الأعمال وأنا موظف في أحد البنوك الكبيرة في العاصمة و ...، وهنا قرقعت ضحكة ليست معهودة أبداً من قبلها حتى أن قدميها ارتفعتا إلى الأعلى، الأمر

الذي أفلت يده عن صدرها، بعد هذه الإنتقاضة قالت له وهو في أوج تفاجئه، قالت: « لماذا تتكلم وكأنك في مقابلة عمل من أجل وظيفة جديدة؟ ...

كان لهذا السؤال وقع الصاعقة عليه، حتى أنه جعله يفلت من وضعيته الموجعة تلك، ويلقي برأسه على الحائط وراء السرير وكأنه مستلقٍ يستريح بعد معركة قاسية على حلبةٍ ملبدة بغيوم الحيرة والرغبة والتردد والضعف. ألقى رأسه ونظر إلى سقف الغرفة، وأسدل الستار عن مرحلة خرج منها خاسراً من جميع النواحي، من

ناحية إثبات الوجود والرجولة وحتى من ناحية الغريزة. ولكنه لاحظ شيئاً أراحه قليلاً، وهو أن الفتاة توقفت عن الضحك، وكأنها شعرت بأنها أزعجته قليلاً أو بالأحرى جرحته، توجه إليها بنظره ورآها نادمة بعض الشيء وتحاول أن تخفف عنه إذ أنها أمسكت بيده قليلاً في محاولة منها لكسر هذا الموقف المزعج الذي يمكن أن

يشكل عليها خطراً داهماً، على خططها التي لا نحن ولا هو يعرفها.

أدارت الفتاة له ظهرها وهي نائمة ولفّت ذراعه حول خاصرتها وهي ما زالت تمسك

بـــها وهـــو كـــالـــPâte à modeler
استجاب لهذه الوضيعة ونام خلفها صدره
يلاصق ظهرها ويده حولها، وشعر براحة
تامة، فهذا الجليد بينهما أو على الأقل
عنده بدأ يذوب شيئاً فشيئاً، ولكن الخوف

الأكبر هو ما الذي سيظهر تحت هذا الجليد.

الفتاة تنظر بعينين مسمّرتين إلى جهة الحائط وهو لا ينظر إلى أي مكان رغم أن عينيه مفتوحتان. أزاحت رأسها قليلاً لتشعر برأسه خلفها وقالت له: «خبرني عنك».

للمرة الأولى في هذه الليلة فهم معنى

السؤال بصعوبةمع أنه بسيط وسهل ولكن هناك شيء ما يزعجه وهو أنه لم يعتد أن ينام على السرير لابساً حذاءه، فلذلك وبكل أدب، ولأن السرير سريرها ولا يريد أن يوسخه، حاول التملص منها للوصول إلى حذائه وخلعه، وهنا انتفضت بسرعة وكأنها لا تريد منه أن يقطع هذا التواصل الرائع لخلع حذاء سخيف، وإن كان سيويخ الفراش، فما المشكلة في ذلك، قالت له بسرعة البرق وكأنها تنهره «شو بدك بالصباط، تركو» تجمد زميلنا كقالب الثلج وعاد إلى الوراء بهدوء عظيم

واسـتلقى كـما كـان آمـلاً ألّا يـكون هـذا الشيء قد أثر سلباً على لحظات التواصل الرائعة تلك. سألته مرة ثانية، خبرني عن حالك؟ واتبعتها بكلمتي «يللا» سريعتين. وكأن صبرها بدأ ينفد.

الموظف حياته روتينية ولا شيء مشوق فيها ولا يمكن لهذه الحياة أن تشكل إلهاماً لفنان مثلاً أو لكاتب، فما من شيء عميق، ولا غرابة فيها، فهي مجرد حياة عادية روتينية.

صباحاً ينهض من فراشه، يغسل أسنانه

ويأخذ حماماً ساخناً، يتوجه إلى طاولة المطبخ، يشرب الحليب الخالي من الدسم مع Corn Flakes الخالي من الدسم أيضاً وذلك للمحافظة على لياقته وعلى جسمه داخل البدلات الثمينة التي يقابل بها الزبائن، بخاصة الأغنياء منهم، في البنك.

يلبس بذلته المكوية والنظيفة جداً والمعلّقة في مكانها تماماً بجانب البذلة السوداء، ولكن السوداء هي ليوم الثلاثاء وليس الإثنين، فهناك ترتيب للبذلات وربطات العنق لديه. يأخذ الـLab Top

وشنطة يده ومفاتيح سيارته الجديدة من الشركة ويخرج من شقته التي يدفع تقسيطها شهرياً دون أي تأخير، يعيد هذه المحطات كلّ يوم بالترتيب نفسه، حتى يوم السبت إذ يلتقي مع بعض الأصحاب في أحد المقاهي الفخمة بلباس البنك وليس باللباس العادي، ويوم الأحد، من الممكن أن يلبس بنطلون الجينز، الوحيد لديه، القابع في زاوية الخزانة خائفاً من كميّة الثياب الرسمية والمرتبة التي تحيط به. فما هو المشوّق واللافِت للنظر في كل ذلك؟ كان يسأل نفسه هذا السؤال في كل لحظة.

ولكن ماذا عن هذا الجينز الوحيد لديه والذي وجده في يومٍ من الأيام مقلوباً على قفاه في الخزانة، ما هذا العار، أحد البنطالونات الثورية يمارس عليه ضغطاً، إذ أنه أبى أن يكون مطوياً ومرتباً كغيره، بعد أن رفعه وجعله يتدلّى على قفاه أمام ناظريه، أتته فكرة غريبة أشعلت بداخله شعلة صغيرة ما لبثت أن انتطفأت بعد لحظات:

ماذا لو يقدر الإنسان أن يقلب نفسه إلى الداخل كهذا الجينز الثائر، فمن الممكن

أن يرى داخل نفسه بكل سهولة، من الممكن أن يتعرف على زوايا جسده الداخلية ومفاصل عروقه وعظامه أكثر من أي طبيب داخلي أو طبيب تشريح. من الممكن له في هذه اللحظة أن يرى دماغه بكل تفاصيله، وكيف تنطلق الفكرة من مكان إلى آخر وتتبلور حتى تأخذ حجمها وشكلها النهائيين. فكرة رائعة راودته في يوم من أيام العمل العادي ولكنه طردها من أمامه لأنها، ونسبة إلى طريقة حياته، لا تعني له شيئاً بل بالعكس، تأخذ منه وقتاً ثميناً لا يجدي نفعاً، وبالتالي فإن

مجرد التفكير فيها وتضييع الوقت أمامها هو استثمار غير مجدٍ بلغة الـbusiness. لم يعرف مطلقاً لماذا أتت هذه الفكرة وهو في وضعية صعبة جسدياً وفكرياً مع تلك الفتاة الغريبة التي ومن الممكن أن تكون معظم ملابسها من الجينز. وإذا عدنا إلى لغة الـbusiness، فاستعمال فكرة الجينز المقلوب هذه، استثمار مجدٍ وينفع كثيراً هذا الـProject الغريب والغامض.

ماذا لو قلب جسمه إلى الداخل ورأى حقيقة باطنه، ماذا سيجد في زوايا جسمه،

هل سيجد شيئاً ينفعه ويرفع من مستواه في هذا اليوم الغريب وهذه الشقّة الغامضة وهذه الوضعية المثيرة؟!

الفتاة ما زالت تنتظر جوابه وهو في أتمّ الاستعداد للقيام بهذه التجربة أمام، تجربة الجينز المقلوب.

ماذا رأى؟ ماذا سيخبرها؟

استعمل كامل طاقته كي يقلب جسده إلى الداخل، حتى أن العرق أخذ يتصبب منه بقوة، الأمر مؤلم وخاصة إذا حاول الإنسان أن يقلب نفسه ولكنه رغم هذا

الألم أصرّ على تلك الفكرة التي يمكن أن تكون عنصر الإنقاذ الوحيد الذي سيرفعه إلى مستوى تلك الفتاة.

قرّب شفتيه من أذنها وبحرطة تشبه حركات James bond قال لها:

«في الخامسة عشرة من عمري  ولأول مرة قبيل سهرة السبت اجتاحتْ ذهني فكرة جديدة، جسّدت فيّ وأمام حدقات عيون الناس كل الجرأة التي كنت أكنّها لهم، كأنّها تحدٍّ، حالة رفض عارمة، كلمة «لا» لكلّ أمر يلبس عباءة الطلب الرقيق الناعم،

لكل مجتمع تجرّد من أحاسيسه وكذب على نفسه رغم النبل والتربية الحقّة، لكل مجتمع تمسّك بتاريخٍ قديم جعله صنماً، عبدَه وقدّسه ومشى على خطاه بقدمٍ حافية، لكل مجتمع رفع راية الأخلاق الحميدة عاريةً، تمارس الجنس تحت الخباء الرصّين المزركش، قلتُ «لا» وكنت أجهل ذلك كل الجهل، في تلك الليلة بالذات قرّرت خفيةً أن أخلع ثياب العيد الجديدة وألبس بنطالوني الممزق عن فخذية من الأسفل وفوقه قميص مفتوح يكاد يغطي تحته T-shirt بيضاء ملطّخة تحرسها سلسلة

ثخينة من الفضة وفي أسفلها يستلقي قرنٌ صغير من العاج أكاد أخاله مفتاح جنّتي الذي طالما أردت وتمنيت أن ألمسه بيدي.

بعد كل هذه التحضيرات المكثّفة لإشغال فتنة الحرب ضد أعدائي، وقفتُ أمام باب غرفتي ووضعت يدي في جيبي وأخذت أتذكر الناس حين يسألوني ضائقين ذرعاً بي وبتصرفاتي: «ماذا تريد؟» كنت أجيبهم بسخرية بريئة: «أتمنّى لو يلبسكم الله نظارات سوداء غير شفافة ويربط ألسنتكم بشرائط هدايا أعياد الميلاد، فهل تتصوّرون كم سيكون منظر أهل قريتنا

طـريـفاً ... وكـم سـأرتـاح أنـا فـي جـنتي هذه».

كنت أتساءل دائماً عن نفسي وعن أعمالي وعن هذا الإحساس الغريب الذي يخالجني كل لحظة ويحثّني بشدة وكأنه طموح مزمن يرافقني أينما ذهبت، طموح في كل حركة، في كل فكرة، في كل شعورٍ ينتابني، كانت هذه الأفكار أكبر بكثير من الدماغ الذي أخفيه تحت جمجمتي والذي يكاد ينفجر كل يوم من جرّاء تقلباتٍ مفاجئة لا قدرة لي على فهمها.

كـنت أراقــب كــل الشــبّان دون اســتثناء، أراقــبهم بــتدقــيق مــميّز وغــريــب، كــيف يـتصرفـون، كـيف يـتكلّمون، كـيف يـلبسون ويـصفّقون شـعرهـم، مـا هــي مـميّزات كـل واحـد مـنهم، كـنت أبـحث فـي كـل شـاب صغير عن ميّزات ليست موجودة فيّ، في شخصيّتي، وليس مـهمّاً إن كنت أحبها أم لا، المهم أنـها ليست موجودة ويمكن لـها أن تشكّل تميّزاً معيّناً في أعين الآخرين. لماذا؟ كنت أشعر بهذا دائماً وكان كل شـاب هـو مـنافـس لـي؟ كـبف يـمكن لـكل الـتميّز أن يكون عندي؟ ما هو التميُّز عندي؟

لم أكن أستمتع بحياتي، بلحظاتي ولا حتى بتميّزي والذي لم أكن أعترف به يوماً، وهل كل هؤلاء الشباب يستمتعون من دون التفكير بشيء؟ هذا أكبر من عقلي! من دماغي الصغير، هذا عذاب يمسك بي ويجعلني أتمنّى لو أكون وحيداً ... أنا اليوم مستقرّ، ونسيت كل هذه الأمور، وضعتها جانباً، وهذه هي المرّة الأولى التي أعود فيها إليها منذ زمن طويل جداً، جمّدتها كقطعة ثلج وتركتها جانباً، كنت أريد أن أرتاح، أريد أن أتوقف عن التصبّب عرقاً، أريد أن أتقدّم

كغيري، أن أكون وحيداً مع الكثير من الناس من حولي ولا أحد منهم يلامسني بشيء مطلقاً ...

ما هذا الكلام الذي ينطلق منّي الآن؟ لأول مرّة أرى نتيجةً كنت أجهلها، أرى مساري وطريقي اللذين سلكتهما من دون أن أعي ذلك، أرى نفسي!! لا بد أنها استراتيجيّة الجينز المقلوب ...»

مرّت ساعات وهو يتسائل على هذا المنوال ويستنتج ويضحك، يضحك عالياً، ينظر إلى حذائه الملمّع ويضحك، ينظر إلى

ربطة عنقه ويضحك، فتح محفظته، رأى فيها عدد من بطاقات الإعتماد التي، وبسبب كثرتها، يمكن له أن يلعب فيها «طرنيب» أو «ليخة» أو حتى «14» ... نظر إليها بعين ساخرة باكية، وضحكة هزّت المكان، حتى أنها أيقظت الفتاة النائمة بجانبه حيث نسي لساعات أن هناك أنثى في فراشه، بل في فراشها إلى جانبه.

الفتاة سألته السؤال وغفت، استفاقت بعد ساعات وكأنها تحاول أن تعرف أين هي ومع من و .. و .. و؟

سـألـته عـن الـسـاعـة، فـنظر إلـى سـاعـتها «المـهضومـة» إلـى جـانـب الـسـريـر وقـال: «الساعة 6 الصبح».

حـاولـت أن تـنهض، وكـان ثـديـها الأيـمن قـد تحرّر كلياً من خبائه وأصبح ظاهراً تماماً أمام عينيه، فما كان منه إلّا أن وضع يده عليه بلمسة ناعمة واثقة واقترب منها محاولاً أن يـقبّل شـفتيها بـعد أن لامـس عـنقها وأسـفل أذنـها وخـدهـا وحـتى عـينها. قـرّب شـفتيه مـن شـفتها الـسفلى وحـاول سـحبها إلى داخل فمه بقبلةٍ جامحة، ذاب

الجليد تماماً بينهما، شعر بشيء لم يشعر به من قبل أبداً، شعر كأن عظامه تنسلّ من بين عضلاته لتخرج كالسهام تنطلق في كل الاتّجاهات غير آبهة بأحد ولا بمكان ولا بتاريخ ولا بوظيفة ولا بحذاء ملمّع ولا ببطاقة اعتماد ... شعر بسخونة شفتها السفلى وبالنفَس الخارج من أنفها نحو شفته العليا مباشرة. كانت لحظة تحوّل في حياته أوقفتها هي بلحظة، أفلتت من بين شفاهه بنعومة وتركت السرير واتجهت مباشرة نحو باب المطبخ ونافورة الشعر ما زالت منتصبة فوق رأسها، وثديها الأيمن

ما زال خارج اللباس ولم تبذل أي جهد لإدخاله من جديد.

مشت نحو الطاولة الفاصلة بين المطبخ والغرفة، وبكل هذه الغرابة اقتربت منها ورمت برأسها وصدرها وبطنها عليها ورفعت فستانها من الخلف في مواجهته تماماً، خلعت سروالها الداخلي ومدت يديها إلى الأمام وتمسكت بكلّ ما لديها من قوّة بالجهة الأخرى من الطاولة، وهو ما زال مستلقياً والدّم ينفُر إلى كل مسام جسمه، عيناه لا تفارقان ردفيها، وهو في

كـامـل جـهوزيـّتـه لا سـتلال سـيفه والـهجومِ علـى كل عـدوّ يـطعنُه قـاتـلة تـجعل الـصوتَ يصل إلى ما يعد البحار والزهـرَ ينبت فـي أرض قاحلةٍ لا ماء فيها.

نـهض من سـريرهـا ، يده علـى حزامـه، وصـل إليها ولم يتذكّر حتى، كيف أصبح شبه عارٍ بـمسافـة أربـع خـطوات فـقط. ارتـمى عـلى ظهرهـا ومدّ يديه فوق يديـها حت تـشابكت الأصـابـع جيداً وأخـذا يـتمايـلان بـكل مـا لـديـهما مـن قـوة وعـزم، أغـمضا عـينيهما ومارسا أروع صلاةٍ على وجه

الأرض بكل ثقة وحرية وغرابة وعمق وتجانُس، وفي سبع دقائق كان الوصول، كانت اللحظة الأقوى، كان الصراخ الذي أرخى بجناحيه على طاولة المطبخ، على طاولة الطعام، صراخاً لا مثيل له، فما كان منه وهو يكبُت صراخَه أيضاً إلا أن أمسك بنافورة شعرها، التي وجدَ لها نفعاً في نهاية المطاف، وأدار رأسها بقوّة نحوه وأقفل فمها بشفاهه حتّى أصبح صراخها يدخل إلى أعماق أعماقه ويتفشّى كالمرض الخطير في كل نواحي جسمه.

في سبع دقائق فقط نهضا عن طاولة الطعام، مسحا شفاههما وتواجها ... ابتسمت له وهو ما زال يلهث بوجه برّاق، ابتسمت له مرّة أخرى وبصمتٍ كبير توجّهت إلى الأكياس إلى جانب حقيبة السفر الكبيرة، وشرعت بتبديل ثيابها، وهو واقف وراءها بصمت. لكنه انتبه بعد لحظات أن شكله مضحك بعض الشيء، إذ أن بنطاله على الأرض تحته وهو عاري الساقين تماماً كالولد الصغير الذي يريد دخول الحمام. رفع بنطاله بسرعة، وحاول تصفيف شعره من جديد، جلس على

الأريكة المريحة التي تتسع لثلاثة، وضع رأسه بين يديه وانتظر ... ماذا ينتظر لا أحد يعرف، رأسه أصبح فارغاً تماماً من كل شيء حتّى أنه من الممكن أن يكون قد نسيَ اسم أبيه مثلاً. راحةٌ لا مثيل لها، استرخاء بتميُّز، وفراغ يجعل الإنسان يشعرُ وكأنه مخدرٌ قبل عملية جراحية.

اقتربَت منه، لامست يداه ورفعته نحوها حتى تواجها من جديد، والغريب في الأمر أنه عندما مال بنظره نحوها وجد إنسانة أخرى، بمعنى أنها بدّلت ملابسها ولبست ثياباً محتشمة ومرتبة جداً، رفعت شعرها

إلى الوراء بطريقة عادية ولبست نظارات طبية وأصبحت تبدو كأنها معلمة محتشمة جداً ومحافظة في مدرسة ابتدائية. لم يجد الوقت للتفكير بالأمر وتحليله لأن الجرسان الصغيران على أعلى الساعة «المهضومة» بدآ يرنان بقوة، ... الساعة السابعة تماماً.

تركته واتجهت نحو الساعة، أوقفت المنبه، وضعتها في حقيبة يدها واتجهت نحو حقيبة السفر والأكياس، ثم نظرت إليه وسألته: «بدك تساعدني؟».

فما كان منه إلّا أن اتّجه نحوها وساعدها في حمل الحقيبة وهو ينظر إليها وإلى نظراتها التي أصبح فيها كمية كبيرة من الحياء والخجل التي لا تتجانس أبداً مع ما حصل منذ ساعة تقريباً.

حمل الحقيبة وهي حملت الأكياس، أقفلت باب غرفتها من الخارج، نزلا بالمصعد دون كلام ولا حتّى نظرات، وضعت المفتاح عند البواب، في مدخل البناية وخرجا، كانت سيارة الأجرة الأردنية بانتظارها على ناصية الشارع،

اقتربت منها وحيّت السائق باسمه وكأنها سافرت معه مرات عديدة من قبل، وتعرفه كل المعرفة، وضعا الحقيبة والأكياس في صندوق السيارة، ودّعته بحركة خجولة من يدها، صعدت إلى السيارة وانطلقت دون أن تنظر خلفها.

الإنطلاق من جديد، العودة إلى نقطة الصفر، البداية الثانية الأولى، ... كلّها جمل صغيرة مرّت بسرعة أمام عينيه اللتين تريان ما وراء الأفق البعيد، ويغضُّ جفنها بدمعة متثاقلة أبت أن تضعف وتخرج معلنةً

عن حزنٍ ولو ضئيل على أيام عابرة قضت على إحساس وفرح غمر قلبه وقتها من قبل.

في الخامسة والعشرين، ولأول مرة وقف وشعر بما تراه عيناه خلف حدود المسافات، دغدغه الهواء الرطب الذي يحمل الأمواج من القعر، يرفعها نحو الصخور، تنحر نفسها على مذبح الشاطئ وتُهديه رذاذها الحالم .......

# المشهد الثالث

إذاً، لم يبق أمامها إلّا طريق واحدة، طريق الإعتزال، تأكدت من قرارها االحازم هذا بعد تفكير دام ساعة ليليّة كاملة. أمرٌ، هي ذاتها لم تصدقه، تفكير لمدة ساعة كاملة وفي هذا اليوم العصيب أيضاً؟

كيف فكّرت؟ ...

بعد ليل عمل طويل ومرهق وبارد نظراً

لأن الـباب كـان يُـفتحُ ويـقفل كـلّ دقـيقتين تـقريـباً ومـعظم الأحـيان كـان الـذي يـفتحه يـنسى أن يـقفله بـعد أن يخـرج أو يـدخـل، لذلك كان دفء الغرفة يهرب من بابـها مرة كل دقيقتين، والمدفئة المسكينة تناضل مرة تلو الأخرى من أجل إصدار دفء جديد.

كيف تبدأ الليلة؟

تـبدأ الـليلة بـتحضير المسـتلزمـات المطلوبـة لافـتتاحـها، فـي حـدود الـساعـة الـثامـنة، تنظيف، تـحضير مـأكولات خفيفة، طبعاً لن ننسى المشروب، وهذه الخطوات تترافق

بشتائم ربما لم أسمعها ولا أتوقع أن أسمعها يوماً ما. شتائم مركبة مفبركة تُنبِتُ للجمل قروناً وتجعل للديك خرطوماً، ولكن أجمل ما فيها صدقها. صحيح أنها شتائم، لكنها صادقة وبرأيها هي: كل صادق شريف. وهنا طبعاً، نكتشف إحدى معضلاتها حول مفهوم الشرف والأخلاق. ولكن لنعد إلى التحضيرات قبل أن نستطرد بعيداً في هذه البؤرة، فلن نعود سالمي الذهن.

تكتمل التحضيرات في وقت قصير إذ لا

تعنّت في النظافة وفي تذوق الطعام وجودته لأن الوضع سيعود كما كان في أقل من نصف ساعة وهذا خاضع طبعاً لتفسيرات مفاهيم الأخلاق والشرف أيضاً. أصبح المكان جاهزاً، بيت مميزٌ على قمة تلة صغيرة في أعلى هضبة كبيرة على أعلى قمة من جبال لبنان المنخفضة. بيت أو بالأحرى شبه قصر يطابق قصور القرون الوسطى ذوات الأبراج الأربعة كما في قصص الأطفال الخيالية. تحدّه من الشمال والشرق أرض موحلة يصعب المرور فيها. وفي وسطها شجرةٌ يتيمة مثمرة، ومن

الجنوب تحده أرض موحلة يصعب المرور فيها، وفي وسطها شجرة يتيمة مثمرة كما يحدّه من الغرب بحرٌ من الوحول يسهل المرور فيه وتقبع في وسطه جزيرة صغيرة وعليها نبتت شجرة صغيرة أيضاً ثمارها من جميع الألوان تقريباً» ويحد هذا البحر أفق بعيد ينده لنا دائماً من خلال أمواجه.

السماء من فوقه موجودة بالطبع، سماء ملبدة بالغيوم طوال أيام السنة، والغريب، أن لا أحدّ يراها ملبّدة إلا تلك التي قررت أن تعتزل، فكل زوارها يرون السماء صافية

وذلك من خلال رؤيتهم للنجوم، يعدّونها واحدة واحدة بانتظار دورهم.

كيف يبدأ الليل بعد التحضيرات؟

انتهت التحضيرات. وتلك التي قررت الإعتزال جلست على كرسيها الخشبي وثوبها الشرقي يتدلى من الجنبين حتى يكاد يلامس الأرض الخشبية الفاخرة التي يكسوها بساط عجمي بحاجة لبعض الإصلاحات (الرتي) بسبب أعقاب السجائر المتساقطة عليه كل ليلة وخاصة عندما يرن هاتف محمول لأحدهم. لكنها لا تتضايق

من هذا، فهي تفديهم ببساطها العجمي، لكن الذي يضايقها حقاً هو كل تلك الإعتذارات المتتالية كدرز ماكينة الخياطة، التي لا تكلّ ولا تهدأ حتى بإسكاتها. هي تفديهم ببساطها العجمي لكنها لن تفديهم بأعصابها المتبقية.

ولكن ما هي حكاية الأعصاب المتبقية؟

كانت هي، فتاة مكتملة الأعصاب ولا تشوبها أية شائبة، ولكن فجأةً، وفي بداية ليلة صيف مُلبَّدة بدخان سجائر الكبار، بدأ الشك يساورها حول مفاهيمها ومفاهيم

الذين يدخنون حولها، الأخلاق، الشرف، العفّة، حتى النشاط والحيوية، قيم موجودة فعلاً ولكن ليس عندنا أو عندهم، أي المدخنين، فأين توجد إذن هذه القيم؟! هنا بدأت تفقد الربع الأول من أعصابها وبدأت تقضي لياليها، التي أصبحت طويلة بعد هذا الحادث، بضجر واستياءٍ لا يُحتملان، فالدخان الذي كان ينعشها أصبح يهزُّ مفاصلها ويوقع جسدها المستلقي تحت الدخان بحيرة كبيرة.

كيف فقدت ربع أعصابها الثاني؟

قبل البدء بشرح الكيفية، كنت ألاحظ عليها دائماً أنها كلما فقدت جُزءاً من أعصابها زادت عصبيتها، وأنا لم أفهم هذه المعادلة، الأعصاب تصنع العصبية فكيف بها تفقدها ، لم أفهم يوماً كيف؟ ولكني تركت التحليل جانباً ومَضَيتُ إلى الأهم. كل تلك المفاهيم التي اعتَبَرَتها قيماً موجودة فعلاً، ولكن ليس عندنا ولا عندهم، أي المدخنين، لم تعد كما تفهمها وتفسرها، فقد بدأَت تشك بأصل كل المفاهيم التي حولها، من الذي قال أن مفهوم الأخلاق هو الذي نعرِفُهُ، ومن

الذي قال إن مفهوم الصدق هو الذي نعرفه والقافلة تسير، بدأ التوتر يظهر في وجهها على شكل تجاعيد في بدايتها، وللتذكير كانت وقتها تسكن في منزل ليس بكبير في وسط مدينة ساحلية، بدل أن تحيطها الأسوار لحمايتها، كانت الأسوار تتداخل في أواسطها كالشرايين أو كالمتاهة فكيف لها أن تحميها من الأعداء بهذا الشكل، المهم، منزلها كان صغيراً مؤلفاً من صالة واحدة دون غرف حتى الحمام دون حائط ولا حتى باب، ويمكن ألا يكون هناك كرسي حمام، منظر موجع حقاً يُفقِد

الأعصاب، لم يكن هذا هو الذي أفقده الربع الثاني من أعصابها، لكن المفاهيم بدأت تهتز وأصبحت قابلة لتغيير ألوانها. ازدادت حيرة جسدها المستلقي تحت الدخان وأصبح لا يلبّي أوامرها كما يجب وفي كل الأوقات.

كيف فقدت الربع الثالث من أعصابها؟

حصل ذلك بعد حادثة بسيطة رأتها عندما كانت صغيرة ولكن لماذا تذكرتها؟

لا هي تعلم، ولا أنا أعلم!. كانت جالسة على كرسي خيزران قديم، تلوح بقدميها

الـعاريـتين مـنذ الـصغر إلـى الأمـام والـى الخـلف، وتــتلذ مــنذ صِــغَرهــا، بــإحــساس مـلامسة الـهواء الذي يتغلغل بخبث بـين وبر ساقيها. أختها التي اعتزلت الحياة صغيرة كـانـت تجلس بـجانـبها عـلى طـاولـة خشـبية صــغيرة جــداً (طــبلية) لا تــرتــفع إلا 30 سنتيمتراً عن الأرض وبسبب هـذه الجلسة ارتفعت رجلها اليمنى صدفة، وبكل براءة، فــي وجــه الـضيوف الأجــلاء، الــجالســين كتحف الشمع يتناولون أطراف الحديث مع والدهـا الكريم، وبحركة عفوية، أصبح نـعل حذائـها الذي لا يتجاوز

حجمه زجاج نظّارتي أحد الضيوف، أصبح هذا النعل مواجهاً تماماً لنظّارتي هذا الضيف، حتى أن صورته ظهرت واضحة وجلية على زجاجتيها ، على كلِّ زجاجة صورة، موقف محرج جداً أليس كذلك؟ خصوصاً وأن أطراف الحديث بدأت تتوسع وتتشعب. تجمد الوالد بحرج، وتجمد الضيوف ينظرون تارة إلى زجاج نظّارتي الضيف الضحية، وتارة إلى حذاء الطفلة، ويحاولون حبس ضحكتهم بقوة، مما زاد من حرج الأب. الضيف صاحب النظّارتين ما زال يتكلم، يتوسع ويسترسل في الكلام

نظراً لشدة انتباه الحاضرين إليه في تلك اللحظة، وفجأة خيّم الصمت، نظر الأب إلى ابنته الصغرى ونهرها قائلاً: عيب!!! عندها اعتزلت هذه الطفلة الحياة ولم نعد نراها ولا مرة، في مدينة في هذا البلد. لماذا تذكرنا، أنا وهي، هذه الحادثة، لم نكن نعرف، لكنها، وعندما تذكرتها، حاولت أن تفسر ما حدث، لم يزعجها اختفاء اختها الصغرى ولا صوت والدها المحرج، بل الذي أزعجها هو كلمة «عيب». هنا بدأت تحلل لماذا العيب، حتى وصلت أخيراً إلى النتيجة، وشعرت

بالسذاجة لأنها لم تصل إليها من قبل. فإذا رفعنا حذاءنا في وجه أحدهم يوماً، وصدفة كنا قد دسنا على إحدى الأوساخ المقرفة، والتصقت بنعل الحذاء دون أن ندري، فيكتب على هذا «الأحدهم» الذي أمامنا أن يرى أمام ناظريه هذه الأوساخ المقرفة فيشعر بالاشمئزاز، والأسوأ من هذا، إذا كان يتناول طعامه، أو أنه من الأشخاص الذين يشمئزّون بسرعة، وطبعاً هذا ما لا نبتغيه أبداً بل بالعكس لماذا نزعج هذا «الأحدهم». إذاً لماذا كلمة «عيب»؟ من ابتدعها؟ من أين أتت؟ من

هو هذا الذي بدأ بِنُطقها؟ في هذه اللحظة بالذات حزنت لفقدان أختها الصغرى، كرهت والدها والضيوف، ففقدت الربع الثالث من أعصابها وقررت أن تختفي هي الأخرى، جمعت ثيابها وبساطها العجمي الذي تحبه، ودّعت حمَّامها الذي ربما سيصبح له حائط وباب، وربما كرسي بعد أن تتركه، وانتقلت إلى بيت مميز على قمة تلة صغيرة في أعلى هضبة كبيرة على أعلى قمة من جبال لبنان المنخفضة، شبه قصر يطابق قصور القرون الوسطى، ذوات الأبراج الأربعة كما في قصص الأطفال

الخيالية، تحدّه من الشمال والشرق أرض موحلة يصعب المرور فيها، وفي وسطها شجرةٌ يتيمة مثمرة، ومن الجنوب تحده أرض موحلة يصعب المرور فيها، وفي وسطها شجرة يتيمة مثمرة، كما يحدّه من الغرب بحرٌ من الوحول يسهل وعليها نبتت شجرة صغيرة أيضاً ثمارها من جميع الألوان تقريبا، ويحدُّ هذا البحر أفق بعيد ينده لنا دائماً من خلال صدى أمواجه، وطبعاً من فوقه السماء الملبدة التي تكلّمنا عنها، والغريب، أن الكل يراها صافية.

كيف سكنت على قمة هذه التلة الصغيرة في أعلى هضبة كبيرة على أعلى قمّة من جبال لبنان المنخفضة؟

حَمَلَتْ الربع الباقي من أعصابها، أخذت بساطها العجمي، بللته بالماء، لفت به جسدها، فمنطقة النار منطقة خطرة، ومنطقة الخطر هذه هي ساحة طويلة تمتدّ حتى شاطئ البحر وعلى جنبيها رصيف مرصّع بحجارةٍ قرميدية وأضواء متدلية، مضاءة حتى في النهار تحت الشمس الحارقة وذلك بالإضافة إلى مناظر ذات

طابع شرقي تغطي الرصيفين على الجنبين حتى البحر أيضاً، وفي نهاية هذا الشارع من ناحية البحر هنالك شجرة زيتون صغيرة تقبع وحدها وسط باحة مستديرة من الأعشاب الخضراء المشتعلة، يوصلها دخانها مع طبقات السماء فبالكاد ترى شجرة الزيتون الصغيرة التي يسمّونها «الزيتونة». اقتربت الفتاة، وكانت ما زالت فتاة، لفت حولها بساطها المبتلّ وقطعت طول الشارع حتى الزيتونة. مشت فوق الأعشاب المشتعلة ودخلت الدخان، كسرت غصناً صغيراً، حملته في فمها لأن

يـداهـا الاثـنتان مـنشغلتان بـلفّ الـبساط المبتلّ حتى لا يقع، وعادت، قطعت الشارع من جديد، لم تجد مكاناً آخر لها ولم تقدر أن تـسأل أحـداً عـن المـكان أو عـن المـنطقة، وأيـن تـقدر أن تـبيت ليلتها ، ذلك لأن غـصن الـزيـتون الـذي فـي فـمها كـان يـمنعها مـن الـكلام، فـقرّرت أن تـمشي دون أن تـسأل، دخلت متاهة المدينة وضاعت بين أسوارها ، كل شـارع لـونٌ وكـل مـنزل لـونٌ ولـكلٍّ وجـه إنـسان لونٌ، يـعيشون سـوياً ، كـلّهم يوقفون سـياراتـهم عـند الإشـارة الحـمراء سـواسـية وينطلقون على مهل مع

الإشارة الخضراء سواسية وإذا خالفوا يُنظّم بحقهم ضبط مخالفة سواسية أمام القانون، وإذا ارتكبوا جرماً يدخلون السجن سواسية. لكن هناك أمر مريب حقاً، أولاً: في كل شارع هناك متاريس وهمية لا عمل لها ولا سبَبَ لوجودها حتى أن لا أحد يكترث لها فيمر الناس بجانبها معتبرينها كعمود الكهرباء، وهذه المتاريس ما زالت بحالة جيّدة لم تًستعمل قبلاً، والأسلحة الثقيلة والخفيفة مرميَّة بجانب المتاريس كقطع الخردة، وثانياً: حتى السجن كان ملوّناً، لكن الفرق بينه وبين الخارج هو

تصنيف المقيمين فيه حسب لونهم وليس حسب جرمهم، وأنا فتست في كل كتب التاريخ وقمت بأبحاث كثيرة حول هذا الموضوع ولم أجد له جواباً. لذلك رميته جانباً ككل المواضيع المتعلقة بهذه المشكلة ومشتقاتها حتى أصبح عندي أرشيف كبير كلّه مواضيع من هذا النوع لكن دون حلول. وحسب تفسيري لم تكن ذات أهمية تذكر، أو بالأحرى أني لم أكن أدرك أهميتها في ذاك الوقت وطبعاً ككل مرة لم أكن أدري لماذا؟ ... على كل حال هذا كان حالنا جميعاً، حتى أن تلك

تلك الفتاة، وأصرّ على أنـها كانت فتاة، لـم تـكن تـدري لمـاذا دخلت فـي مـتاهـة المـديـنة خـلف أسـوارهـا وبـين مـتاريـسها الـوهـمية، لـكنها ، وبـمبادرة عـفويـة مـنها ، حـاولـت أن تـطالـب بـإزالـة هـذه المـتاريـس الـوهـمية، نـاضـلت مـن أجـل ذلـك، "وذلـك" هـذه، أصـبحت قـضيتها بـعد عـدة أيـام، لـكنها واجهت صعوبات لم تكن تتوقعها ، فقد لاقت مـواجـهة شـرسـة مـن الـشعب المـلون بـعدة ألـوان، واجـهوهـا بـعنف، ضـربـوهـا ، ورفـعوا يـافطات تـقول إنـه لا يـسمح ولا يـمكن لأحـد أن يزيل هذه المتاريس

المقدسة فهي ثروات عريقة لشعبها، بناها أجدادنا منذ مئات السنين واستمرت صامدة فينا وأمام أعيننا تحرسنا وتدافع عنا مع أني لم أرَ وراءها أي مقاتل، ولم يُشهروا وراءها أي سلاح حقيقي، وكالعادة لم أجد جواباً على سؤالي، فمضيت متابعاً... وبالعودة إلى الفتات التي أُصرَّ على أنها كانت ما تزال فتاة، بعد محاولاتها الفاشلة ونضالها المرير، حيث لم تكن قادرة على الدفاع عن نفسها، فيداها تحملان البساط، لم تكن أيضاً قادرة على إقناعهم بالكلام، لأنّ

غصن الزيتون في فمها. لذلك، قررت أن تنصرف، أدارت ظهرها لهذه المدينة الحيوية، وطأت بحذائها في قلب كل من يساعدها فكيف بالذي لا يفعل، وانطلقت نحو الجبال، وهناك وجدت حياة ساكنة، واطمأنّت وتعرفت إلى شعب حيوي أيضاً ولكن للأسف، ملون أيضاً وأيضاً ومتاريسه الوهمية أكبر وأمتن وتدخل في صميم دفاع الأهالي عن أنفسهم.

لم تجد مدينة ولم تجد جبلاً، فبقي لها البحر. لكن ولسوء حظها لم تكن تتقن

السباحة، فلذلك أصرّت على أن تبقى على الأرض. نظرت شرقاً وحدَّقت جيداً، رفضت أن تستقيل، مشت نحو قمة تلة صغيرة في أعلى هضبة كبيرة على أعلى قمة من جبال لبنان المنخفضة، نظرت أمامها، شحنت نفسها بكل ما رأته حتى الآن، ركزت جيداً، وقبل أن يذبل غصن الزيتون في فمها، تخيلت: أمامها شبه قصر... ووجدته. شبه قصر يطابق قصور القرون الوسطى ذوات الأبراج الأربعة كما في قصص الأطفال الخيالية... إذن هذا هو موطنها منذ الآن، دخلت إليه. وأول

تجديد نفّذته هو تكسير حيطان الحمّام وخلع كرسيّه. دخلت وفرشت بساطها العجمي بجانب المدفأة، زرعت غصن الزيتون الذي كانت تحمله في فمها، زرعته في التراب وسقته كي لا يذبل وانتظرت، لكن فجأةً بدأت تحسّ بالجوع، إذن لا بدّ لها من أن تجد عملاً وتتقاضى عليه أجراً، عندها ستقدر أن تبتاع طعاماً وتتغلب على جوعها.

كيف وجدت لها عملاً هناك؟

بعد كل هذا العذاب والبحث في شوارع

المدينة وعلى الطرقات الجبلية والأراضي الموحلة المنتشرة من الشواطئ حتى أعالي الجبال المكسوّة بالثلج البني، شعرت أنها اكتسبت خبرة كبيرة في التفكير والتحليل وتشغيل هذا الشيء الذي تحمله بين أكتافها، جلست على بوابة هذا القصر التاريخي وشرعت بالتأمل، كانت لحظة ممتعة بالفعل، إذ إنها لم تشعر بالمتعة منذ زمن، بل كل الزمن، خطرت على بالها فكرة وتساءلت: لماذا لا يعطون معاشاً على التأمل. فيكون التأمل وظيفتها. بدأت ببلورة هذه الفكرة والتفكير بإمكانية تطبيقها

عـملياً، لـديـها المـكان (الـقصر) ويـنقصها الزبائن To run a business.

لـذلـك شـرعـت بـالـتفكير بـطريـقة تـسويـقية مـحصنة، مـا الـذي سيجـذب الـزبـائـن إلـى قصر قديم في منطقة جبلية لا يوجد فيه أدنى مقومات الراحة؟ بالإضافة إلى أنها لا تملك أي رأسمال سوى البساط العجمي المبتلّ وغصن الزيتون الذي زرعته وليست واثقة أنه سينبت من جديد... ولكن، لحظة!!! فهي تملك شيئاً آخر... تملك نفسها، نعم تملك نفسها... رأسها وعينيها

ويديها وجسدها بالكامل، كل هذه الأشياء يمكن أن تشكل استثماراً جيداً بل رائعاً. إذن، لنبدأ بالتخطيط والدراسة. اكتشفت أنّ التأمل ينفع في بعض الأحيان ويسهل عليها حياتها فهذا التأمل هو الذي جعلها تكتشف معنى كلمة والدها الشهيرة "عيب" ومن أين أتت.

دعونا نرجع إلى الـMarketing لفكرتها الجديدة دون أن ندخل في غمار كلمة "عيب" حتى لا نختلف من جديد فيتوقف الإبداع.

ما الذي سيجذب الزبائن بل بالأحرى ما الذي يحتاجه الزبائن؟ هذا الشعب المنتشر على هذه البقعة الموحلة.

أوصلها تأملها إلى أنّ هذا الشعب أكثر ما يحتاجه ويسعى إليه، أشياء تميز أفراده عن بعضهم فكيف سيجدون معطيات لهذا الـShowing off الذي يمارسونه كرياضة يومية أو بتعبيرٍ أصحّ كالطعام والشراب.

وSince أنه ليس هناك ما يميزهم من العمق بعد أن رفضوا مساواة الماركسية وما تقتل فيهم من مبادرات فردية للمواطن

برأيـهم. Since that فكروا بتميّز خارجـي وبـرروا ذلك بـأنّ هـذا المـوضـوع مـتوارث وهـو عنصر مـن تـاريـخهم وحـضارتـهم وثـرواتـهم ومن "الـعيب" التخلـي عن التاريـخ والـثروات والعادات... إلخ إلخ إلخ.

فـكلمة بـيك وبـاشـا ووو... كـانـت تـباع أو تُـمنح. لـذلـك ارتـاحـوا نـفسياً لأنــهم وجـدوا المبرر الكامل بل الأكثر من كافٍ للّجوء إلى هذا التميز الخارجي.

ولـكن الآن نـصل إلــى كـيفية تـطبيق هـذا التميز أو تنفيذه عملياً.

هنا كانت المعضلة بالنسبة لفتاتنا والتي أُصرُّ على أنها ما زالت فتاة. هؤلاء الشعوب بحاجة إلى رُتب في المجتمع، لكل إنسان رتبته. والرتب، اقتداءً بالجيوش عبر التاريخ، لها نجوم. إذاً ستصنع نجوماً توزعها على الزبائن رتباً تميزهم عن غيرهم حسب إمكاناتهم وعدد زياراتهم إليها في القصر القديم على هذا الجبل الذي أصبح يغصُّ بالوحل. إنهم سيتمكنون من التكلم بحرية، التكلم بالإضافة للتكلم على أجهزة الخلوي دون خوف وبهدوء وسط دخان السجائر وكل هذه الضجة.

إذاً، بدأت فتاتنا، والتي أصرّ على أنها ما زالت فتاة، بتجهيز المكان.

حمّام دون حائط ودون كرسي حمّام، مطبخ صغير غير مجهز وبساط عجمي وغصن زيتون مزروع وليست واثقة من أنه سيكبر. والأهم من هذا كله معمل الخياطة تصنع فيه (Project concept) التي ستوزعها على الزبائن.

وفي آخر يوم من السنة كان الافتتاح، افتتحت فتاتنا، التي لم أعد مصرًّا على أنها ما زالت فتاة، مكانها، قصرها القديم في الأرض التي أصبحت رمالاً متحركة من

كثرة وحلها، وانتعشت هذه المنطقة الجبلية وأصبحت صفوف السيارات المتلاحقة على طول الطريق، وكل زبون يمارس رياضته المفضلة: الكلام على الخلوي بحرية وسط الدخان والضجة.

وبعد عدة سنوات، التقيتها وعرفت كيف فقدت الجزء الرابع من أعصابها وأصبحت دون أعصاب، ولكني ما زلت أتساءل دائماً كيف يمكن أن تكون عصبية إلى درجة الجنون وهي فاقدة الأجزاء الأربعة من أعصابها؟

# المشهد الرابع

أتعلم لماذا تركتُ أظافري حرة...
جميلة... طويلة... تتمدد نائمة فوق
أصابعي الصغيرة الناعمة... تنام وتقاوم
النوم في نفس الوقت ...؟

هناك أسطورة قديمة في أحدى القبائل
التي لم توجد بعد، تقول: " كل فتاة عندما
تريد أن كون عذراء، تترك الحرية
لأظافرها حتى تكبر وتنضج ... عندها

تكون حقاً عذراء..." مبدأ سخيف أليس كذلك؟ ... ولكن من ناحية الخيال الواسع الذي تتمتع به... تقدر أن تختلق حكاية وأسطورة وكتاباً مقدساً لها وحدها...
قوانينه صارمة هادئة متفجرة.

"إنهم يخترقونني"... قالت وفردت شعرها... تأملت أظافرها ونظرت بعينين كعيني الهرة في ليلة حالكة تلمع أمام أنوار مصابيح السيارات المسرعة... تنتظرها كي تمرّ حتى تقطع الطريق من الضفة إلى الضفة الأخرى مع أنها تعلم أنه من

الممكن أن تداس... إنه نوع من الانتحار، ولكنه انتحار مثير من الداخل... انتحار مميز... فيه ثقة كبيرة بالنفس.

أطلقت الدخان من فمها... أطلقت عينيها... أطلقت كلاماً غير مفهوم... تأملت أظافرها... أحبتها وقالت: "أظافري هي حريتي... أنا أواجه بها.."
لم أفهم تماماً ما قالته، ولكنني حاولت أن أربط بين الأظافر والقطة التي تريد أن تقطع الطريق من الضفة إلى الضفة

الأخـرى... حـاولـتُ أن أربـط ذلـك ربـطاً كـلاسـيكياً ... لأنـني، ويـجب عـليّ أن أفـهم شيئاً حتى أحافظ على ماء الوجه أمامها... حـتى يـكون بـإمـكانـي أن أكـمل هــذا التواصـل... لأنني أحببته، فـأنا فقدته منذ زمـن طـويـل... هـذه الأظـافـر الـتي كـانـت محور المكان والزمان والليل والنهار دون أن تُسـتعمل... كـانـت الأظـافـر عـرابـة هـذه الجـلسة... هـذه الـوضـعية الـغريـبة الـتي حـاولـت جـاهـداً الـغوص فـيها حـتى أجـد نـفسي مـن خـلالـها...أنـانـيٌّ أنـا ولـكني أحتاجها.

"أنا أُخترق"... قالت، وكان شعرها قد غطّى الجزء الأكبر من وجهها... التفتت ونظرت إليّ نظرة دخلت عبري كما يدخل السهم الضباب عند أول خيط من خيوط الفجر في "لندن" في القرون الوسطى... كانت تقول كلاماً بطيئاً ولكني منذ تلك اللحظة، ومع كل سخافتي، بحاجة إلى آلة حاسبة وأن أكون مجيداً للحساب السريع حتى أقدر أن أحسب وأفهم وأجد الجواب الصحيح أمامها...

كلامها أثّر فيّ واخترق نافذة سيارتي، ونافذة سيارة أخرى كانت بجانبنا، فيها

شاب وفتاة يمارسان الكلاسيكية والكلام العادي ولكنهما في تلك اللحظة أحسّا بشيءٍ غريب... حزما أمتعتهما وودّعا المكان وكأنهما خافا من لعنة غريبة تصيبهما... وأنا ما زلت أمامها ولا أحد غيري في هذا المكان... ورائي زجاج وبجانبي زجاج وأمامي زجاج عينها... كانت رائعة... أقوى مني...

لنعد إلى حكاية الأظافر التي فسّرتها بشكل كلاسيكي سخيف... "سأمنع نفسي من العزف" قالت... عندها شعرتُ

بسخونة في يدي وعرقٍ يتصبب عند أسفل ظهري... "هل من الممكن أن تُحلّ مشكلة المرور في هذه العاصمة مع كل هذه الجسور والطرق السريعة" قلت...

حاولت أن أدافع عن نفسي بأي شكل...

بأي كلام... حاولت أن أدخل فيها...

أن ألحق بها... كانت سريعة جداً...

تركض من دون تعب أبداً... مع أنها تدخّن أكثر من علبتي سجائر في النهار...

لم أعلم من كانت ... عرفتها حتى قبل

أن تولد... وعادت المشاهد القديمة إلى ذهني كشريط مصوّر سريع بالأسود والأبيض.

كل لحظة أتذكر فيها قصة الأظافر أشعر بسخافتي، بعمقي السطحي... وبكثرة التماهي مع محيط يشدّني إلى الوراء.

"هذا هو أملي" قالت... وهي تضغط بأصابعها الناعمة وأظافرها الطويلة، التي لا تخدش، على زندي... كانت أصابعها، مع عتمة الليل وضوء السيارة الداخلي وبعض الأخيلة... كانت تبدو كراقصات "باليه" Ballet محترفات جداً على خشبة واحد من

أهـم مسـارح الـعـالـم، والأظـرف مـن ذلك كله
كـانـت أحـذيـة الـرقـص المـلمّعة جـداً...
أظـافـرهـا... أحـذيـة الـرقـص المـلمّعة كـانـت
أظـافـرهـا... شـاهـدتُ مسـرحية راقصة دون
أن أشتري بطاقة دخول... لم يكن هناك من
بائع للبطاقات على مدخل المسرح... فتّشت
عنه... صدّقوني لقد فتّشت عنه ولم أجده...
دخلت مـع أنـنـي نظـامـيّ جداً وأتـوقـف عـلى
إشـارة المرور الحـمـراء فـي شـارع مـقـفـر فـي
منتصف الليل... أنـا نظـامـيّ جداً... لكنني
دخـلت... وعـنـدمـا فـتـحـت بـاب الـصـالـة خـرج
منه دفـءٌ، كـأنك

تفتح فرناً تشوي بداخله قالب حلوى دسماً جداً ومنتفخاً حتى الثمالة. قالت "تكلّم"... لم أقوَ... شربتُ قليلاً... وأشعلت سيجارتي الرقم 15 مع العِلم أني لا أدخّن... وريثما وجدت فمي أضعت لساني... كانت ضعيفة جداً... ولكن كيف لها أن تواجه بهذه القوة... كانت وحيدةً جداً... ولكن كيف لها أن تقاوم بهذه القوة... كانت صغيرة جداً... وتلك الكلمة "صغيرة" كانت كلمة السر.

"هل استمتعتِ يوماً بالألم أو بالحزن

مـثلاً؟..." لـم أعـلم إن كـان سـؤالـي ذا مسـتوى، ولـكنني شـعرتُ بـشيء أسـميته مزعجاً ولا أعرف حتى الآن إن كانت هذه التسمية صحيحة أو حتى مناسبة. ولكن لنعد إلى موضوع الحزن، هذا السؤال أتاني من اللحظة التي وضَعَت فيها يدها على معدتها ولا أعرف لماذا. فجأةً، شعرت بالحياة في هذا المكان، شعرت بأنها امرأة وامرأة متوترة... ارتجفت يدُها للمرة الأولى طوال المدة التي عرفتها فيها، وكانت ست ساعات تقريباً...

ارتجفَت يدها وذابت وغطّت المكان...

حجبت نور القمر وخلقت حولها هالة كالتي يصوّرونها في أفلام الصور المتحركة حول الأشباح... هالة... هالة استطعت أن اسمع حفيفها مع ذرّات الرياح... حفيفها مع موجات صوتي التي أصبحت غير مسموعة... صمتت ولم تتكلم... توقف كل شيء، وأقدر أن أقول إني عرفت كل شيء دون أن تتكلم. ما هو هذا السر الذي جعلها امرأة... امرأة دافئة... حجمها لا يسمح بذلك... صوتها لا يسمح بذلك... عمرها أيضاً، لا يسمح بذلك.

شعرت بشيء أسميته مزعجاً... "أخاف عليكِ" قلت... لماذا تدحرجت هذه الحروف من بين شفاهي فجأةً دون أي Control يذكر مع أنني حاولت أن اقاومها، أن أردعها، لكن دون جدوى... قلتها وانتهيت... أحسست بنفسي وكأنني أفرغت كل ما في داخلي بعد ليلة شربت فيها حتى أكثر من الثمالة، وأفرغت كل شيء حتى التصقت معدتي بظهري... وللمرة الأولى قدرت أن ألمس ولو للحظات ما يسمونه الفراغ... كنت ضعيفاً ولكن انتحارياً بهجومي... وقوياً بإصراري... التهمتُ

نَفَسي بنهم وأشعلت سيجارتي الرقم 16 مع العلم أني لا أدخن...

بعد هذه الكلمات... التفَتَت بنظرتها، بحركة شعرها الشهيرة... أشفقت عليّ وكأني أنا الضحية... تأملت أظافرها ووجهتها نحوي. وللحظة شعرتُ بأنّ هذه الأظافر الناعمة العازفة الراقصة يمكن أن تخدش ما بقي مني... اقتربَت، لمستْ وجهي، وردت عليّ بكلمات استقدَمتها من فيلم مصري قديم وقالت بأداءٍ متميز، كأنها تمرنت كيف تؤديها لسنوات... قالت: "لا

تخف عليّ... أنا قوية جداً... وأقدر أن أواجه"... وهنا، في هذه اللحظة بالذات، شعرت أنني رجل أمامها ولست مجرّد عجوز يهذي... شعرت بضعفها التاريخي... شعرت بحاجتها... شعرت بدفئها... بحبها للحياة... بدموعها التي لم تظهر... ماتت، ثمّ خافت، وعندها عرفت ماهية هذه الهالة الواسعة حول يدها عندما لامست معدتها... إنها هالة الخلق الغائب... هالة الخلق الضائع في عمر قصير جداً... لو كانت هناك حالة أكبر من البكاء والهستيريا لقمت بها... لكني لم

أجد هذه الحالة... ضاعت كالخلق لديها، وعشنا بضياعٍ للحظات... بفراغ أبعد من كل فراغ... وكَي أنقذ الموقف عدت من جديد إلى محاولة حلّ مشكلة المرور من خلال الجسور والطرقات الواسعة حول المدينة، ولو طالت مدة الفراغ أكثر، لكنا حاولنا أن نحلّ مشكلة مكب نفايات العاصمة أيضاً... أموت لأعيش تلك اللحظة، ولو للحظة...

"من أنتِ" قلت... لم تجب... غابت من جديد... حاولت أن أتدخل...

"أريـد أن أقـودَ الـسيارة" قـالـت... فـعَلت، وظَهَرت قصة جديدة مؤلمة لديـها... كيف يـمكن لهذا الجسد الصغير أن يـحوي كـل هذه الأشياء آلاماً كانت أم أحزاناً أم حتى أفـراحـاً... ومـا زال هـنـاك متّسع مـن المكان يـقدر أن يـحويـنـي ويـحوي غـيري وغـيري وغيري... في هذا الجسد الصغير!؟

قـمعَت نفسها بـأظـافرهـا... قـاومت نـفسها بـأظـافـرهـا... مـزّقـت تـاريـخها الـصغير بـأظـافرهـا أيـضاً... وهـي أجمل مـا فـيها... "من أنت"؟ سألَتني... شعرت بنفسي فقيراً

معوزاً ورأسي لا يقدر أن يرتفع أكثر من ذلك... سينطح باب السيارة... أصرّت على السؤال ولم يكن لديّ إلاّ جواباً واحداً... "أنا عاديّ وأستمتع باللحظة"... وعندها شعرت بأنني فعلاً أستمتع باللحظة... أنا موجود وأقدر أن أسمع نبضي مع عزف أظافرها... انتشلتُ نفسي من ضعفي دون أن أدري...

حافظتُ على ماء الوجه... أحسست بكل تراكماتي وتجاربي في الحياة... وجدت شيئاً قديماً نبشته من تحت غباره... وأصبحنا في لحظات كالندّ للندّ...

مساواة مقبولة بعض الشيء بيني وبينها... وعندها تجرأت وقلت حقيقة وهي: "أنه من المستحيل أن يتعرّى اثنان كلياً، أي مئة في المئة، أمام بعضهما...". هذه كانت حقيقة... ورغم كل الذي جرى في هذه الساعات القليلة، لم نقدر أن نتعرّى كلياً... لطالما كان هذا هدفي... وأمنيتي... وعشقي للحياة ولوجودي فيها... لكنه صعب... هذا الجسد الصغير الذي أمامي، واسعٌ إلى درجة غطّى فيه كل شيء وجعل العتمة حالكة...

حرّك عقارب الساعة بشكل سريع...

تمنّيت عندها لو كانت ساعتي Digital وليست عقارب كلاسيكية علّها كانت أبطأ... ولكنّ الساعة دقّت الثانية عشرة... وحان وقت العودة... العودة... العودة...

في شارع عتيق... من العاصمة القديمة... وتحت شجرة هرمة... سقطت وردة... أخذَتها وقالت: "هذه لك"... أضعتُها وندمتْ... ضربت الشجرة بيدي بكل ما أملك من قوة حتى سقطت وردة أخرى وقلت: "هذه وردة

كالتي ضاعت"... قالت: "لكنّ التي ضاعت سقطت وحدها"... التقطتْ قميصي الأبيض وقالت بحركة مسرحية وعيونٍ برّاقة وشفاه تلمع "Be with me"... ورحلت.

أتمنى لو كانت لديّ القدرة أن أجدَ كلمات وأملأ كل هذه الفراغات (الثلاث نقاط) المتناثرة في هذه الحكاية... ما زلت أكتب ثلاث نقاط، الكلام الذي من المفترض أن يملأ هذه الثلاث نقاط... ما عاد موجوداً، لذلك يمكن لي أن أعود

وأحــاول حــلّ مــشكلة المــرور مــن خــلال الجسور والطرقات السريعة في هذه المدينة أو حلّ مشكلة النفايات أو حتى البيئة...
فأنا نظاميّ جداً وأتوقف على إشارة المرور الحـمراء فــي شــارع مـقفر فــي مـنتصف الليل.

وهـي كما هـي، كبّلت نفسها بأظافرها حتى لا تـرقص هـذه الأظـافـر مجدداً عـلى أوتـار زنـدي... ولـكنها وعـدتـني بـحفلة راقـصة لـي فقط.

# المشهد الخامس

ساعد صديقه الذي يشاركه الغرفة في توضيب أمتعته. حمل الحقيبة الصفراء التي كان يكره لونها، أخرجها أخيراً من غرفته في الطابق الأول، ونزل بها إلى الرصيف، وضعها وتبرّأ منها. ودّع صديقه، أدار له ظهره للمرة الأخيرة فاستقبلته بوابة البناية باحتفال وزغاريد كان يسمعها على كل درجة من السلّم يصعدها بانتصار، باب

الـغرفـة مـفتوح، بـدت لـه كحـديـقة مـزهـرة تـصلها أشـعة الـشمس مـن كـل الـجهات، رائـحتها عـطرة، لـم تـتفتّح فـيها إلاّ الـورود الـتي يـحبها، بـل يـعشقها، الـغيتار – كـتب المسـرح والمـوسـيقى – بـعض الـلوحـات الـتشكيلية المـصوّرة وورود يـابـسة، كـانـت أوسـاخـاً بـالنسبة لـصديـقه الـراحـل، أوراق مبعثرة، كوفيّة حمراء وثياب وأحذية تستلقي فـي كل مكان. هـذه هـي غرفتي، قالت عيناه وقلبه وكل جزء من جسده وعقله.

جلس، موسيقى كلاسيكية، قليل من

الـويـسـكـي الـذي لـم يـعـتـد أبـداً أن يشـربـه خلال النهار، فـ(Mark) شاب مؤدب ومرتّب جـداً كـمـا كـانـت تـتـبـاهـى بـذلـك أمـه أمـام صـديـقـاتـهـا الـلـواتـي تـمـلك كل واحـدة مـنـهـنّ بنتاً فارغة الطول تتبعها إلى الصبحيات.

قـرّر أن يـبـقـى جـالـسـاً هـكـذا، يـنـام عـلـى الكرسـي حـتـى الـصـبـاح بـرفـقـة كل وروده في تلك الليلة التاريخية من حياته. المرة الأولى التي لم يسافر فيها إلى فرنسا في عطلة الصيف، المرة الأولى التي يسكن

فيها وحده، المرة الأولى التي يشرب فيها ويسكي خلال النهار، المرة الأولى التي يبعثر فيها ثيابه ولا يرى حقيبة صديقه الصفراء تتباهى أمامه كل ليلة بجانب غرفة نومه المشتركة مع صديقه، تذكّره فيها بأنّ هذا الأخير نائم، فلا تُصدر أي ضجيج من فضلك، شكراً.

كانت مياه الحمام ساخنة، طبعاً، فصديقه الراحل يحرص دائماً على إبقائها هكذا في حال خطر له أن يستحمّ فجأةً. في هذه اللحظة، شعر مارك أنّ هذا الماء

الساخن هو الشيء الوحيد ذو القيمة الذي تركه الراحل في أطلاله. دخل الحمام وجعل الماء يدخل حتى كل عظمة في نواحي جسده وكأنه يأخذ معه كل ما ترسّب عليه وفيه، من أشياء لم يحبها، لكنه اعتاد عليها، قيّدته دون أن يدري. كان ينظر إلى قعر الـBanio فيرى الماء ترسم حلزوناً قبل أن تخرج عبر الفجوة، إلى الأنابيب. هناك كان يظهر وجه والدته تارةً، ووجه جارته تارةً أخرى وأخيراً وجه والده وهو يطلق عطته المشهورة: "سنمضي عطلة الصيف معاً في مدينة الفنون

والـثقافـة... بـاريـس". انـتفض مـارك فـجأةً وبـعد صـمتٍ دام ثـوانـي، بـرقـت عـيناه، أغمضـهما وكـأنـه لا يريد أن يعكّر هـذا اليوم التاريـخي. تـرسبات علقت فيه دائماً، كـان يتخيل أنه يحمل على جوانب بنطاله تعاليق مفاتيح تحمل كل واحدة منها صورة لوالده ووالـدتـه وجـدّتـه وابـن خـالـتـه المـتشاوف وباريس وغيرهم... تلحق به أينما ذهب.

حـاول جـاهـداً أن يـخرج من هـذا الـكابـوس، لـكن دون جـدوى فـالحـل الـوحـيد كـان أن يدوس بقدمه العارية على حلزون

الماء في قعر الـBanio، ذلك بعد أن قدّم لعائلته كل الاعتذارات الممكنة على هذه الفعلة المشينة. لكنه كان يعي جداً أنه من الممكن في هذه اللحظة أن يقوم بأفعال مشينة أكثر كي لا يعكّر يومه حتى لو اضطرّ أن يبوّل على حلزون الماء هذا.

استحمّ مارك بقوة وعزم، كأنه لم يفعل منذ سنين. التقط الماء من على أجزائه بمنشفة جديدة صفراء، أزعجه جداً هذا اللون ولكنه لن يخرج مبتلاً ليأتي بمنشفة أخرى، ندم كثيراً لأنه لم يفعل، رمى

بالمنشفة أرضاً، خرج عارياً نادماً، توقف فجأةً، عاد إلى الوراء، وبانتقام، أطفأ زرّ تسخين المياه، نكاية بالراحل وخرج عارياً منتصراً، استلقى على السرير المبعثر، سريره طبعاً، نظر إلى سقف غرفته، وغفا...

نهار تاريخي ينتهي بنوم عميق وكأنّ الحياة ستبدأ بعد هذه الغفوة، وكأنّ المشاريع والأحلام ستتحقق بعد هذه الغفوة. ثلاث ساعات مضت وجسد ماك يبحث عن غطاء يقيه البرد، لكنّ مارك

يـرفـض، كـان ذلـك مجـرّد حـالـة رفـض أو انـتقام وتـعويـض عـن كـل الأيـام الـتي لـبس فـيها ثـيابـاً مـن أفخـم وأرقـى المـحلات الفرنـسية والـتي شـكلت عـبئاً عـليه كـل أيـام الـطفولـة. اسـتيقظ مـتقوقـعاً عـلى نـفسه كـالـطفل الـصغير، تـزخـر عـيناه بـكل الـطاقـة المـمكنة لـتحقيق أصـعب حـلم مـمكن أن يـمرّ أمـام مـخيلته.

فـي هـذا الـنهار كـانـت الـبدايـة، الـبدايـة الـحقيقية، الـخطوة الـتي أبـصرت الـشمس مـن دون نـظارات شـمسية ثـمينة واقـية. رفـض

وقـرر وأصـرّ ونـفّذ، لـم يـذهـب مـع عـائـلته لـتمضية الـعطلة الـصيفية فـي مـديـنة الـفن "باريس" وصديقه المسكين الراحل، صاحب الـحقيبة الـصفراء تـرك المـنزل الـصغير فـي آخـر شـارع الـحمراء لـتمضية الـصيف مـع أهله... مفارقة طريفة!!!

أول الـغيث كـان فـي يـومٍ دافئ مـن أيـام الخـريف حـيث اتخـذ قـراراً مـميزاً بـالنسـبة إلـيه وهـو أنـه لا يـرغـب فـي أن يـتعلم فـي واحدة من تلك الجامعات الفخمة الخاصة. هـذه الـفكرة وتـركيبة شـخصيته كـانـت محطّ حديث

ومناقشات طويلة وشاقة بين أفراد عائلته، والتساؤل الكبير كان: من أين تأتي هذه الأفكار إلى عقل هذا الولد الصغير؟ هل من الممكن أن تكون وراثية أتت من أحد أفراد العائلة القدامى أو بمعنى آخر من أحد الأفراد الشاذين عن العائلة منذ زمن ولا أحد يتكلم عنه؟ كانت تلك فكرة متداولة وليست مستبعدة. هذا الولد الصغير كان يعامل بانتباه شديد وبدقة وكأنه يعاني من مرض نفسي سيخرج منه عاجلاً أم آجلاً، ولكنّ هذا المرض أضحى أن يكون مزمناً ومتمكناً وفتّاكاً، خرج عن طوع

العائلة، لبس ثياباً عادية وليست Signés، ركب السرفيس، وتطوّر هذا الوضع حتى وصل إلى مرحلة أدخله المرض فيها إلى معهد الفنون قسم المسرح في الجامعة اللبنانية، ولدٌ ذو بنية جسدية قوية وشكل يوحي بأنه ليس لبنانياً، وعيون زرقاء تقدح شرراً وصوت فيه نبرة ضاحكة حتى لو كان حزيناً.

الدخول إلى معهد الفنون قسم المسرح كان أمراً سهلاً جداً. ومسابقة الدخول كانت بالنسبة إليه كالدخول إلى الحمّام

لمدة ربع ساعة حتى أنّ النعاس غلبه وهو ينتظر دوره ليقدّم ما لديه أمام لجنة كانت، ودون أن يدري أحد، ترى في ذلك الشاب شيئاً غريباً.

أول خطوة قام بها على خشبة المسرح كانت تعني اجتيازه المسابقة وبحرارة واضحة، الخطوة الثابتة كانت أن خلع عنه قميصه وأظهر تقاسيم جسده. وتلفظ بكلمات فيها قليل من الفرنسية، تقدم وأظهر نفسه، أظهر ما لديه، أبهر من أمامه وكان يرى في عيون اللجنة كلاماً موجهاً إليه، كانت عيونهم تقول إنه عبقري.

هذا لا يهمه أبداً، كان وللمرة الأولى يثبت نفسه كفرد، يتقدم بخطواته الخاصة به، بجسده الذي أراد أن يطلقه في مكان لم يعتد عليه، ولم يتوقع في يوم من الأيام أنه سيطلقه هنا، يمكن لنا أن نفهم من ذلك أنّ الدخول بحدّ ذاته إلى المعهد لم يكن ذا أهمية كبيرة، بينما الأهمية تكمن في وضعه الداخلي الخاص، أي أن يكون ممثلاً، فكرة لم تأتي على ذهنه حتى وهو يؤدي ويُفرغ ما لديه أمام اللجنة.

بعد دخوله إلى المعهد، وبعد بداية

الـدروس الأولـى فـي الـتماريـن الـتمثيلية، المشكلة الوحيدة التي كانت تواجهه هـي أنه عند قيامه بتطبيق هذه التمارين عملياً على الخشـبة كـانـت حـركـاتـه أشـبه بحـركـات ريـاضـية وليسـت تـعبيراً جـسمانـياً أو إحساساً كما كان يقول له الأستاذ.

كل حـركـة كـانـت وكـأنـها تـمرين ريـاضـي تحضيراً لامتحانات الـBacc. Français.

هـنا بـدأ التحـدي، لا يـمكن لـه أن يـجتاز ويتحـدى نـفسه وهـو عـالـق داخـل هـذه الحركات الرياضية البحتة، حاول جاهداً

أن يفهم على الأستاذ ما هي الطريقة لتحويل هذه الحركات من رياضية إلى تعبيرية، حاول بكل ما لديه من عزم وإصرار، لا يمكن له أن يثبت نفسه ويكون العبقري كما أسموه في امتحان الدخول إلى قسم المسرح من دون التخلي عن هذه الحركات. وللحظات شعر أنّ الحل الوحيد للخلاص هو الخلاص من هذا الجسد الرياضي ولكن هل هذا ممكن؟

زاده هذا نقمة على كل ما لديه، على أهله، على مدرسته على أستاذ الرياضة في

المدرسة والذي دائماً ما كان يتغنى بجسده الـريـاضـي الـبارز. نـقم عـلى الـ.Bacc Français، نقم على كل شيء، على قالب وُضع فيه حتى من دون الانتباه إلى خياره الآخر، نقم على نفسه وشعر للحظات أنه لا يمكن أن يكون موجوداً كما يريد أن يكون، وأنه سيعيش كما يريدون له كل ما تبقى له من حياة. نقم على اسمه الذي لم يختره، نقم على زميله صاحب الحقيبة الصفراء دون أن يكون له أي ذنب في كل هذا، نقم على نفسه، قدّم تنازلاتٍ حطمت ما تبقّى لديه من طموح، وأكمل طريقه

بوجه آخر، وبقالب قديم، وبضياع واضح بين غرب وشرق، تمنّى لو أنه يقدر أن يبتاع حقيبة صفراء ويستعملها، يُفرغ جيوبه من كل ما لديه، يبقى جالساً منتظراً ماء الحمّام حتى تسخن، ويستحمّ...

# المشهد السادس

## (1)

على أجنحةٍ خشبية

رَفرَفَت فوق ضلوعك،

رأيتُ الدم تحتها

أخضَر يلمعُ

ويطرح المريض أرضاً،

يشلَحُ وشاحاً أبيضَ

ويُسمع من لم يسمعوا

أننا أبرياء

من دمِها

من حبِّها

من كلامِها

من كلِّ لحظةٍ

لأمضيتُها برفقتِها

وعلى أجنحةٍ خشبيةٍ

جفَّ عليها دمٌ عتيق

وضربها العفَن...

طارت من بين يديَّ

دون أن تطير.

## (2)

هذا الوقت الذي لا اسم له

ينطبق على كلِّ بقاع الأرض
يرتجل دقائقه

يفتعِل كبرياءَه

يتميزُ بنقطةٍ

وحركة،

يُفلتُ سيوفَه

تدور ضاربةً رؤوسَ الأيام،

هذا الوقت الذي لا اسمَ لهُ،

هذه الساعات التي تعذِّبُنا

بسرعتِها،

ببطئِها،

لا تَفهمُنا.

تحتار في أيِّ جهةٍ تدورْ،

وإذا توقّفتْ،

أتْعَستنا

وأفرغت جيوبَ رأسِنا

من معالمِها،

هذه الساعات التي تعذِّبُنا

ستظلُّ تعذبنا.

## (3)

لو كانت حدودها جفني

ورعود السماء تدوّي

ووجه غريبٌ قريبٌ

ولحنٌ مديد

... وحبّة دواء

قبلةٌ لا تفارقني،

ووجه يبقى أمامي

على قميصي في خزانتي

... وحبّة دواء.

نَفَسٌ سمعتُهُ لحظة

حتى وسط المدينة،

بساط أحمر لحلمي

وزهور...

لن أتمنّى غيرَكِ

ولن أعودَ إلاّ إليكِ

كالثلج في كوب حساءْ

وشوكة تنحَتُ الصحن

حتى الطاولة.

لن أذوبَ إلاّ فيكِ

... وحبّةُ دواء.

## (4)

ما أجمل ما كان اليوم

ضوءٌ يميلُ على أدراجٍ

ورائحةٌ تتحدى الأزهارَ

وصوتٌ...

ما أجمل ما كان صوتُها اليومَ

البعيدُ قريبٌ فيها

والأسودُ ألوانٌ عليها

وشعرٌ يميلُ

مع كل كلمةٍ مني ... ومنها

صغيرةٌ في الصقيع

وحيدةٌ بين الجميع

صمتُها يدوّي

يُطرب الماءَ أمواجاً

ويلامس كنزتي الصوفية

تذوبُ عليَّ تثلجني...

تُرجفني.

عاد إليَّ إحساسي...

سأعودُ مع الأغنية

سأعود بعد حين...

لحناً وكلمةً وورقةً بيننا

حباً قادماً مع رياح الشمال

زهوراً تنبتُ تحت الثلج.

لحناً وكلمةً وورقةً بيننا...

إفرحي وامرحي

وراقصي الأبنية

سأعود إليكِ مع الأغنية.

## (5)

مع كلِّ هذا الضجيج

وباقات الكلام السخيفة،

تتناثر بين أثاثِ المنزل

دخاناً بشعاً

يُبقينا جالسين بصمتٍ

نُلوِّحُ من بعيد

إلى مستقبلٍ خلف الحائط.

لم أعدْ أشعرُ بالكحولِ

تحت لساني،

لم أعد أركعُ على وجنتيَّ

كأيام الطفولة،

لم أعد أشعر بنعومة الخبز

حتى لو كان باهظ الثمن،

لم أعد أشعر إلاّ بالمخدِّر

الذي ينفخ عروقي،

يَفتحُ باب منزلي

ويدفعني إلى عمَلي

عملِهم... وعالمِهم،

ساعاتَهم الرخيصة

يعدُّونها كلَّ يوم

ويضعونها في زُهْريَّةٍ...

يَسقونَها لتكبرْ.

... وتظلُّ ساعاتُ عملهم وعالمهم لهم

وأنا كما أنا...

## (6)

أنتظرُ وأنتظر

حتى انفجار القنبلة

وضجيجِ أغصان الرياح

على أوراقِ الشجر

وموسيقى قديمة

على أوتارٍ بالية

ورصيفٍ يلمع

ويدور حول شارعي

خمسَ مرات يومياً

أشتاق إلى نسيم بعد الظهر

إلى رطوبة الوسادة

ورعونةِ الصباح.

أحتاجكِ...

أتألمُ وأحتاجك،

لحم يدي الجاف يحتاجكِ

ويُسعده أنك آتية

من شارع يظهر فجأةً أمامي

بألوانٍ مختلفة،

بأشرعةٍ بيضاء

ونساءٍ على شبابيكه

وأطفالٍ في أزقّتهِ

وأنت في نهايته.

## (7)

لو كان الحبُّ لياليًا

لعَرفناه...

لو كانت لحظتي هذه

عشبًا ينمو خلف ربيعٍ

وعشقًا يمحو تلال الأرض

وربِّا يسمع صوتَ الورد

وأنا إنسان.

لو كان الحزن عميقاً

لسمعناه...

لو كانت وردتي تنمو

وتكبر كل الوقت مع الأضواء

تشقُّ طريقاً صلباً

ريحها تعزف أغنيةً،

طبولٌ لا للقرع

سلاحٌ لا للحرب

دموعٌ تسرق لون الوجه

فرحةٌ عين

وجسدٌ عاجيٌّ

يلمع تحت ظلال الشمس

وأوتار القيثارة.

هذا هو حبّي

تحت ضباب الصبح وليلي،

هذا هو حبّي

قبل شروع البدرِ

بصلاة الفجر،

هذا هو حبّي

هذي هي أنتِ.

## (8)

أترقصينَ على الشاطئ؟

سألتُها

حافي القدمين

ورغم ذلك سألتُها،

قطعتُ الغرفة ألف مرة،

رأيتُ الزجاج

رأيتُ الهواء

رأيتُ كلماتها

وحزنَها

ولونَ كتفيها،

قضيتُ الوقت

في غيبوبة.

مسحتُ عنُقي

برائحة يدِها،

وأشبعتُ نفسي

بجملةٍ واحدة فقط:

أترقصين على الشاطئ؟

... انتظرتُ سنينَها الثلاثة والعشرين

وسألتُها.

## (9)

من قال إنّه

في ليلةِ شتاءٍ دافئة

وتحت وردِ الياسمين

وخلفَ أحجارٍ قديمة

وكتبٍ عتيقة

وموسيقى...

شرعَت شفاهُ

بقُبلة.

أغدقت عليَّ نارَها

وَوَهَبتما فيَّ من حبِّها.

أنا هي

وارتباكي يكبرُ

ومجدي يمشي أمامي

كم هي ناعمةٌ

كم هي دافئةٌ

وفي يدها

ما يشعلني.

ويخطَفُ ما بقيَ فيَّ من أنفاس.

لا أريدها كالآخرين،

لا أريدها كما تُعرَف

أريدها كما أريدها أنا

وأخشى ألاّ تريدها هكذا،

عميقةٌ كلَيلِها،

دافئةٌ كمدفأتِها

كغموض رونقِها،

من هي؟

تحت الياسمين

ومياه شتاءٍ حامية...

على درج غصّ بقبلة

وتفتَّت حجارتُه لأجلها.

يا ياسمينة

يا وردةً بيضاءَ يا حزينة

يا حبِّيَ الهاربَ في الليلِ

إلى المدينة،

يا وردةً... يا ياسمينة

# النهاية

كان هذا اليوم من أتعس الأيام التي مرّت عليّ، لذلك اضطررت أن أكتب محاولاً أن أريح نفسي من اليأس الذي يسيطر عليها ويحوم حولي. هذه الأجنحة السوداء أحاطت بي من جميع الجهات وأخذت ترفرف حتى جلستُ منفرداً أحاول أن أتخيل، وأن أسترسل في التفكير، ولكن ما من جدوى في ذلك، لأنّ فكري

قد انقطع من أوّله... أنا الي كنت... رجعت إلى الصفر. لقد اكتشفت من ناحية أنّ الذي كان، ذهب وبَعُد عني كثيراً، ومن ناحية أخرى، من كان، تركته منزعجاً. الظروف هي التي أجبرتني على القيام بهذا العمل...
بعيداً جداً، نظراتي وقلبي لا يمكنهما الامتداد فوق هذه المسافات الشاسعة. ومن هنا، من هذه الكلمة التي أكتبها، أحسست أنني ضائع تائه مصدوم متأرجح بين الأهواء المستحيلة. هذا الذي جعلني، رغماً عني، أفكر في مستقبلي، وهذا ما كنت أخشاه،

إنه ناتج عن اليأس الذي لا يجب أن أعبّر عنه لأحد، حتى ولو لأمل آخر. فهذا بالنسبة لي مستبعد وعميق. لكنّ هذا الضياع يساعدني في بعض الأشياء، هذا الضياع من الناحية الصحيحة يجب أن لا يكون. والبديل يجب أن يتعاون مع هذه الأشياء التي يساعدها الضياع، لكي تتكون الشخصية التي أحلم بها ويجب أن أحاول وأجاهد وأفكر لأحققها من أجل السعادة التي هي بالنسبة إليّ مطلقة.

أحب الغموض الذي لا يعرفه أحد ولا

يقدر أن يحلله آخر إلاّ قلمي وقلبي، أحب أن أكون غامضاً إلاّ مع الحب الذي هو الغموض أو سببه بحدّ ذاته، يجب أن أحافظ على نفسي، يجب أن أحب هذا الحب لكي أكتمل، لأنّ كل الظروف توفرت أمامي. فهل هو عقاب للأيام الماضية التي كانت خاطئة بعض الشيء؟ ولكنّ هذا الخطأ يمرّ على الجميع، أظنّ أنّ الصدفة هي التي ستنتشلني من هذه الهوّة العميقة... أتمنى أن تحصل وتتحقق.

بعض الأشياء تتغير نظرة الإنسان فيها، هذا الذي يحصل معي دائماً ولا أعرف سببه تقريباً لكني أقدر أن أحلله بعض الشيء.

هذا الضياع الذي غمرني وحلّ عليّ أصبح ممتعاً ومريحاً، أحسست أنني في تقدم نحو الأفضل. ولكن يجب أن أجد ما يرشدني إلى الصواب في هذه الأشياء وأخشى أن يكون هذا الـ"ما" هو الحب والارتباط الذي يلفّه الضياع. أينما أدور وأينما أذهب وكيفما بعدت وتهرّبت يبقى

هـذا الـسهم الـخارق يـلاحـقني وأخـشى وأتـمنى أن يـصيبَني بـطعنة لـذيـذة تـحـدد حياتي.

لقد مرّت ذات يوم على ذهـني لمحة خاطفة، فوضعت عليها آمالاً كبيرة، لكنّ هذه اللمحة لا تقدر أن تتحمل هذه الأعباء. هذه الفكرة كانت عن حُب طويل وكبير كوَّنتُها بجمع كل الأشياء الـتي تـعجبني وتـربكني وتـخيفني ولكنها... يا ليتها تتحقق.

أشعر أنّ هناك تناقضاً في الفكرة التي

أكتبها، إنـها سـخافـة ولا أسـتسيغها. لذلك يجب أن أعتمد وأحدد كل شيء وكل عمل أقوم به في جميع المجالات.

لم أجد حتى الآن الحدّ الأدنى من الحب في كل حُب مرَّ أمامي، وأخشى أن يكون هذا الحدّ الأدنى وما فوقه، يسبب صدمة عنيفة في غدٍ عنيف، في عالم أعنف ما فيه... هو الحُب.

لو قدر الانسان ان يقلب جسده الى الداخل كما يقلب بنطلون الـ jeans بعد غسله ... ماذا سيرى ?! ...

ISBN 9953-71-038-4

9 789953 710389